التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 208 السنة 23 - مارس 2025

المنتدى الفكري السنوي الـ 11 للتقدمي

شعوب الخليج والقضية الفلسطينية

٦٠ عاماً على انتفاضة مارس المجيدة

رواتب ٢٥٪ من المواطنين المشتركين في التأمينات تقل عن ٤٠٠ دينار

موقفنا

فلسطين الحاضرة خليجياً

موجة من الغضب الشديد عمّت في صفوف شعوب منطقة الخليج العربي العدوان الصيوني على غزّة منذ أكتوبر 2023، وأدى إلى عشرات الالاف من الشهداء وأضعافهم من الجرحى والمصابين، وتهجير أهل القطاع من بلداتهم ومدنهم ومخيماتهم وتدمير منازلهم، فضلاً عن المدارس والمستشفيات وكل مرافق الحياة، وشهدت مختلف بلداننا الخليجية صوراً من التضامن مع الشعب الفلسطيني في غزّة والضفة الغربية وكل فلسطين، وضمن هذا الموقف جاء اختيار المنبر التقدمي لمنتداه الفكري السنوي في دورته الحادية عشرة التي انعقدت في الحادي والعشرين من شهر فبراير الماضي، لعنوان «شعوب الخليج العربي والقضية الفلسطينية»، ليكون موضوعاً للأوراق التي قدّمها فيه باحثون ونشطاء من الكويت والمملكة العربية السعودية وعُمان والبحرين، وسط حضور كبير ونوعي من البحرين وغيرها من بلدان المنطقة.

أتاحت الأرواق المقدّمة في المنتدى ومناقشاته فرصة للوقوف على صورة بانورامية لتضامن شعوب الخليج مع القضية الفلسطينية، منذ بدايات نشوء هذا التضامن ومراحله، تبعاً لتطوّر القضية الفلسطينية نفسها، منذ كان المشروع الصهيوني مجرّد فكرة، إلى أن نُفذّ باحتلال فلسطين وتهجير شعبها من أراضيه، لنرى أنّ شعوب الخليج والجزيرة العربية أدركت، شأنها شأن كل أشقائها في البلدان العربية الأخرى، مشرقاً ومغرباً، ومنذ البداية، خطورة المشروع الصهيوني لا على فلسطين وحدها وإنما على كافة الشعوب العربية.

ومن موقع الأخوّة والانتماء القومي وقفت شعوبنا مع كفاح الشعب الفلسطيني، وقدّمت ما أمكنها من أوجه دعم له في كفاحه وتصديه للبريرية الصهيونية التي تزداد تمادياً في توحّشها، ولم يتردد أفراد من أبناء شعوب المنطقة في التطوع بالقتال إلى جانب أشقائهم سواء على أرض فلسطين ذاتها أو في البلدان العربية المحاذية لها، والتي قاتلت العدو، وهناك من استشهد وهو يؤدي واجبه في القتال، ومنهم البحريني مزاحم عبد الحميد الشتر الذي التحق بقوّات حركة "فتح" في جنوب لبنان، واستشهد بنيران العدو في ساحة المعركة.

أوصل منتدانا الفكري في دورته هذه رسالة واضحة حول مواقف شعوبنا في الخليج في نصرة فلسطين وقضيتها، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وأنّها جزء من الموقف الشعبي في كل بقعة من عالمنا العربي وحتى خارجه، الرافض للتطبيع مع الكيان الصهيوني، الذي زاد من غطرسة العدو وعنجهيته، وألحق أكبر الأضرار بقضية الشعب الفلسطيني العادلة التي معها يقف كل أحرار وشرفاء العالم، وكلّ الضمائر الحية في المجتمع الدولي.

التقدمي

الجمعيات السياسية:

العدالة الاجتماعية تتطلب إصلاح النهج الاقتصادي للبلد

25 % من المواطنين المشتركين في التأمينات تقل رواتبهم عن 400 دينار

طالبت الجمعيات السياسية مجلس النواب بعدم الاكتفاء بمناقشة تحسين شبكة الحماية الاجتماعية المستوى المعيشي للمواطنين، بل معالجة المشكلة من جذورها والمتمثلة في النهج الاقتصادي المتبع من قبل الدولة.
وقالت الجمعيات السياسية في بيان لها بمناسبة اليوم الدولي للعدالة الاجتماعية بأن: «كافة هذه المظاهر التي تجسد غياب العدالة الاجتماعية في البحرين هي ناجمة عن سياسات السوق المفتوح التي لا توفر أي أفضلية أو حماية لتوظيف العامل البحريني ولا لنشاط التاجر البحريني وأصحاب المهن البحرينيين ولا البضائع البحرينية، ومواصلة تخصيص الخدمات الصحية والإسكانية والتعليمية، مما يخلق أعباء إضافية على المواطنين وتتأكل شبكة الحماية الاجتماعية».

وأشار البيان الذي وقعته جمعيات: (المنبر التقدمي، التجمع القومي، التجمع الوحدوي، الوسط العربي الإسلامي، المنبر الوطني الإسلامي، الصف الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، والتجمع الوطني الدستوري)، إلى الحاجة الماسة لدمج سياسات العدالة الاجتماعية في كافة برامج التنمية، ولاسيما تلك المتعلقة بالحماية الاجتماعية والمتقاعدين والتوظيف والأجور وخدمات الصحة والتعليم والسكن، حتى يتحقق للمواطن حياة كريمة تعزز انتماءه لوطنه».
ولفت البيان إلى حالة تفاقم مشاعر عدم الرضا للواقع المعيشي الذي تعيشه فئات واسعة، بسبب ضعف الرواتب وارتفاع الأسعار وفرض الضرائب والبطالة ومحدودية الوظائف المجزية التي توفر للبحرينيين، مما يدفع الكثير منهم للعمل في وظائف متدنية أو أنشطة هامشية تهدد حياتهم المستقبلية».
وأضاف: «وفقاً لبيانات الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية للعام 2024، فإن 25٪ من المشتركين المواطنين في التأمينات من القطاع الخاص والعام تقل رواتبهم عن 400 دينار، بينما سوف ترتفع النسبة إلى 50٪ تقريباً بالنسبة للبحرينيين الذي تقل رواتبهم عن 600 دينار، كما أن 42٪ من المتقاعدين من أصحاب المعاشات في القطاع الخاص تقل رواتبهم عن 400 دينار و72٪ تقل رواتبهم عن 600 دينار.
وشدد البيان على أن: «الأمور ستزداد سوءاً مع وقف الزيادات السنوية للمتقاعدين، حيث حرمهم هذا القرار الجائر من حق أصيل لهم وضاعف من أعبائهم المعيشية، خاصة في ظل الارتفاع الكبير الراهن في أسعار المواد الاستهلاكية، يضاف إلى ذلك ضعف المساعدات الشهرية للعوائل المحتاجة والمتقاعدين وضعف الأنظمة الاجتماعية لحمايتهم مع اتساع أعداد الأسر التي تتلقى دعم اجتماعي إلى 116 ألف أسرة».
وأردف البيان: «مؤشر خطير يكشف عنه تقرير ديوان الرقابة المالية بأن 60٪ من الوظائف المعروضة في سوق العمل قد استهدف خريجي الثانوية العامة بينما يمثل الجامعيون نسبة 71٪ من الباحثين عن العمل، وهذا يكشف أحد أهم أسباب استمرار البطالة في البحرين، والأخطر من ذلك أن خريجي الجامعات يتوظفون في وظائف ليس لها علاقة بتخصصاتهم تضيع معها أحلامهم وطموحاتهم، ويمثل هدر كبير للإنتاجية على مستوى الاقتصاد الوطني».
وأوضح البيان إلى آن: «العدالة الاجتماعية تعني كذلك التوزيع العادل للموارد والأعباء وفرض ضرائب عادلة وتعزيز شبكة الأمان الاجتماعي للفئات المتدنية والمتوسطة الدخل، بينما تطبق البحرين ضرائب غير عادلة وهي ضريبة القيمة المضافة بنسبة 10٪ ورسوم جباية تفرض على الأغنياء والفقراء وتم تجاهل فرض ضرائب على أرباح الشركات وأصحاب الثروات، كما تم رفع الدعم على الجميع دون استثناء الفئات قليلة الدخل والمتوسطة مما يعمق من هوة العدالة الاجتماعية في البحرين».
وانتقد البيان انتشار ظاهرة الفساد والتجنيس، والتصاعد الخطير في نسبة الدين العام المباشر وغير المباشر مما يحمل الأجيال القادمة أعباء تسديده لسنوات طويلة، حيث بلغت نسبة هذا الدين نحو 145٪، كذلك بالنسبة للعجز الاكتواري الذي يصل لأكثر من 13 مليار دينار عام 2023 والهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية تواصل بيع استثماراتها لتسديد العجز في المعاشات التقاعدية، مما يهدد بانهيار هذا النظام وبالتالي تهديد مستقبل مئات الآلاف من المشتركين والمتقاعدين».
ولفت البيان إلى: « ظواهر خطيرة أخرى تهدد الأجيال القادمة وهي الخلل السكاني المتفاقم حيث ناهز السكان الأجانب نحو 60٪ من السكان، كما أن العمالة الأجنبية تستحوذ على 90٪ من الوظائف الجديدة في الاقتصاد، بينما تستفيد فئات متنفذة من ظاهرة الفري فيزا وتحويل الفيزا السياحية إلى فيز عمل المتفشية في البلاد».

المبادرة الوطنية لمناهضة التطبيع ترفض تهجير الفلسطينيين

أعربت المبادرة الوطنية البحرينية لمناهضة التطبيع عن رفضها واستنكارها الشديدين للتصريحات الأخيرة التي أدلى بها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، والتي دعت إلى تهجير أهالي قطاع غزة. وأكدت المبادرة، مستندة إلى الوقائع السابقة التي أثبتت خطورة مثل هذه التصريحات، أن ما صدر عن الرئيس الأمريكي ليس مجرد خطاب استفزازي عابر، بل هو إشارة إلى خطة متكاملة لارتكاب جرائم تهدف إلى فرض وصاية استعمارية واستكمال السياسات الصهيونية المدعومة أمريكياً، والتي لطالما أدت إلى استخدام أدوات الهيمنة والاضطهاد ضد الشعوب.

وأشادت المبادرة بمواقف بعض الدول العربية التي رفضت تهجير أهالي غزة، معتبرةً ذلك استمراراً لتراث التضامن والالتزام بحق الفلسطينيين في التمسك بديارهم.

ودعت المبادرة، في استحضار للدروس والعبر الماضية، جميع الحكومات العربية والشعوب إلى توحيد مواقفها في مواجهة التصريحات التي تخدم مشروعاً جديداً لإعادة رسم حدود الدول بما يخدم الأجندة الصهيونية الاستعمارية.

وقالت الجمعيات المنضوية تحت المبادرة الوطنية: (المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، الصف الإسلامي، التجمع القومي الديمقراطي، الوسط العربي الإسلامي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، جمعية مبادرات البحرين الأهلية، الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، رابطة شباب لأجل القدس البحرينية، الأصالة الإسلامية، جمعية مناصرة فلسطين، جمعية المحامين البحرينية، التجمع الوطني الدستوري، الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني، جمعية الاجتماعيين البحرينية، الجمعية البحرينية للشفافية، جمعية نهضة فتاة البحرين، جمعية المرأة البحرينية، جمعية الشباب الديمقراطي البحريني)، أن مشاريع التطبيع، كما تكرر في تاريخ المنطقة، تشكل خطراً وجودياً يهدد بفرض هيمنة كيان الصهيوني على الشعوب والمقدرات، مؤكدةً أن محاولات الرئيس الأمريكي ومناصريه من صهاينة وعملاء وخونة لتصفية القضية الفلسطينية وتهجير الشعب لن تنجح، إذ أن الشعوب العربية والإسلامية، التي أطاحت سابقاً بمشاريع الاستعمار والهيمنة، ستسقط اتفاقيات العار ومشاريع التطبيع؛ فهذه المخططات، مهما حاولت إعادة تكرارها، لن تمر من مرآة التاريخ.

كما دعا البيان المجتمع الدولي إلى تحمّل مسؤولياته الأخلاقية والقانونية في مواجهة هذه التصريحات المستهترة التي تحتقر القوانين الدولية والأعراف والقيم الإنسانية، داعياً إلى وضع حد للانتهاكات الصهيونية التي تُسهّل تنفيذ هذه المخططات. وأكد على ضرورة أن تتصدى الدول العربية والإسلامية بحزم لهذا المخطط وترفض أي تعاون مع سياسات التهجير القسري، داعيةً الشعوب العربية والإسلامية والعالم الحر إلى رفع أصواتها ضد سياسات التطهير العرقي ودعم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، خاصةً حق العودة وحق تقرير المصير.

فضفضة

مجلس أعلى للأجور

عيسى الدرازي

تُعدّ قضية الأجور من أبرز التحديات التي تواجه سوق العمل في البحرين، خصوصًا في ظل ارتفاع تكاليف المعيشة وتزايد الفجوة بين الرواتب ومتطلبات الحياة الكريمة. في هذا السياق، برزت عدة محاولات على مدار العقود الماضية لمعالجة هذه المشكلة، من بينها عقد مؤتمر الأجور عام 2008، وآخرها التحركات النيابية باقتراح قانون لإنشاء مجلس أعلى للأجور وهذا كان في يونيو 2023.

إنشاء مجلس أعلى للأجور يمثل خطوة ضرورية لضمان التوازن بين مستويات الرواتب والتضخم الاقتصادي، فمن خلال إجراء دراسات دورية، سيكون بالإمكان تقييم مدى كفاية الأجور مقارنة بمتطلبات المعيشة، واقتراح سياسات تعزز العدالة الاجتماعية، كما أن وجود كيان مؤسسي يعنى بالأجور، بمشاركة الأطراف الثلاثة (الحكومة، أصحاب العمل، والنقابات العمالية)، سيساهم في تحقيق استقرار سوق العمل ورفع الإنتاجية من خلال تحفيز العاملين عبر تحسين مستويات دخلهم.

إضافة إلى ذلك، فإن المجلس يمكن أن يكون منصّة لإطلاق مبادرات داعمة، مثل تعزيز الأجور العادلة، ووضع حد أدنى للرواتب يتناسب مع متطلبات الحياة، والعمل على تقليل الفجوة بين القطاعين العام والخاص، كما يمكن أن يلعب دورًا رئيسيًا في دعم البحرنة عبر تقديم حوافز لأصحاب الأعمال الذين يلتزمون برواتب تتناسب مع متطلبات السوق المحلية.

وأثبتت التجارب الدولية أن رفع الأجور بشكل مدروس ينعكس إيجابيًا على الاقتصاد من خلال تعزيز القدرة الشرائية، وبالتالي دعم النمو الاقتصادي بشكل عام.

إنشاء مجلس أعلى للأجور ضرورة لتحقيق العدالة الاجتماعية والاستقرار الاقتصادي، وهو ما يتطلب تضافر الجهود بين مختلف الأطراف المعنية لضمان نجاحه وتحقيق أهدافه في تحسين مستوى المعيشة للمواطنين. وفي ظل التحديات المتزايدة التي تواجه العمال البحرينيين، فإن وجود هيئة متخصصة لمراقبة مستويات الرواتب وإطلاق سياسات تحفيزية للعاملين وأصحاب العمل سيكون خطوة محورية نحو تحقيق الاستقرار للعمالة الوطنية.

التقدمي يعقد مؤتمر العام العاشر ويؤكد على الحريات السياسية والنقابية

عقد المنبر التقدمي مؤتمره العام العاشر تحت شعار «من أجل تصحيح المسار الاقتصادي واستعادة وتطوير المكتسبات والحريات السياسية والنقابية"، حيث ناقش وأقرّ التقارير المرفوعة إليه من اللجنة المركزية السابقة، كما تمّ انتخاب لجنة مركزية جديدة للسنوات الثلاث المقبلة.

وأعرب الأمين العام للتقدمي في الاجتماع الأخير للمكتب السياسي في الدورة السابقة، عن بالغ الشكر والتقدير لأعضاء المكتب السياسي، واللجنة المركزية، وكافة الأعضاء على ما بذلوه من جهود طيبة أسهمت في دعم وتعزيز دور التقدمي طيلة الدورة الحالية، مشيداً بما لمسه من حرص من قبل الجميع على مواصلة وتعزيز دور التقدمي في العمل الوطني، كما نوه بكثير من التقدير لكل أوجه التعاون والتواصل مع الجمعيات السياسية خاصة في إطار اللجنة التنسيقية لهذه الجمعيات، أملاً أن تشهد المرحلة آفاقاً جديدة من التعاون والعمل المشترك بما يخدم الأهداف والتطلعات الوطنية المشتركة.

كما عبّر عن اعتزاز المكتب السياسي بالذكرى السبعين لتأسيس جبهة التحرير الوطني، مبرزًا تاريخ الحزب من التضحيات منذ تأسيسه في 15 فبراير 1955 ومشاركته في معارك النضال الوطني ضد الاستعمار البريطاني والرجعية، مؤكدًا استمرار المنبر في سعيه لتحقيق مكاسب سياسية واجتماعية ونقابية تلبي تطلعات شعب البحرين وتفتح له آفاق مستقبلية واعدة.

في ذكرى الميثاق

التقدمي والقومي والوحدي يوجهون الدعوة للإصلاح الشامل

أعربت جمعيات (المنبر التقدمي، التجمع القومي، والتجمع الوحدوي) عن قلقها البالغ إزاء التدهور الواضح في الأوضاع السياسية والاقتصادية في البلاد.

وأكد البيان الذي أصدرته الجمعيات الثلاث بمناسبة الذكرى الـ24 للتصويت على ذكرى ميثاق العمل الوطني على أن «المشهد السياسي يشهد تراجعاً ملحوظاً يتمثل في تقلص دور الجمعيات السياسية والحريات المدنية، مع تنفيذ نظام العزل السياسي وإغلاق عدد من الجمعيات الفاعلة، مشيراً إلى استمرار ملاحقة أصحاب الرأي عبر وسائل التواصل الاجتماعي واعتقال ذوي الآراء المعارضة، بالإضافة إلى بقاء فئة من المعتقلين دون حل لمسألة جنسياتهم، في ظل غياب دور البرلماني في إصلاح الحياة السياسية.

ومن الناحية الاقتصادية، تناول البيان استمرار تراجع مستوى الحياة المعيشية للمواطنين وسط موجة رفض متزايدة بسبب الغلاء الفاحش، وفرض ضريبة القيمة المضافة، وتدني مستوى الدخل، ووقف زيادة معاشات المتقاعدين. وأضاف أن ظواهر الفساد والتجنيس، مع إغراق البلاد بالعمالة الأجنبية السائبة، وتفاقم معدلات البطالة بين الخريجين، فضلاً عن أعباء الدين العام المتزايدة التي تؤثر سلباً على نفقات الحكومة في الخدمات الاجتماعية، كلها عوامل تسهم في تفاقم الأزمة.

ولفت البيان إلى ضرورة العودة إلى روح ومبادئ الإصلاح والحريات المنصوص عليها في بنود الميثاق الذي صوت عليه الشعب بإجماع شبه كامل، مما يستلزم إعادة صياغة واقع سياسي واقتصادي واجتماعي أكثر عدلاً وتوازناً. وأكد على أهمية مراجعة أخطاء العمل السياسي السابق والتوافق حول صيغة المشاركة في صنع القرار، مع اعتماد مبدأ المواطنة المتساوية وسيادة القانون للجميع والتمسك بالوحدة الوطنية كأساس لأي إصلاح منشود.

وفي سياق منفصل، جددت الجمعيات الثلاث موقفها الثابت تجاه القضية الفلسطينية والحق التاريخي للشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة على كامل ترابه الوطني. ورحبت البيان بالفعاليات الجماهيرية المتواصلة التي تعكس وقوف الشعب إلى جانب القضية الفلسطينية، وطالبت الحكومة بإلغاء كافة اتفاقيات التعاون مع الكيان الغاصب وطرد سفيره من البحرين، استجابةً لموقف الشعب وقواته وشخصياته السياسية والمدنية المتمسكة بنصرة القضية الفلسطينية وتحرير أراضيها المحتلة.

جانب من المنتدى الفكري

المنتدى الفكري السنوي الـ 11 للتقدمي يناقش «شعوب الخليج العربي والقضية الفلسطينية»

المتروك: غاية وجود الاحتلال الصهيوني واستمراره إخضاع المنطقة للهيمنة الإمبريالية

اختار المنتدى الفكري السنوي للمنبر التقدمي في البحرين لدورته الحادية عشرة، التي انعقدت في الحادي والعشرين من فبراير الماضي موضوع: «شعوب الخليج العربي والقضية الفلسطينية»، في إطار ما شهدته البحرين من حملات تضامن مع شعب فلسطين إثر العدوان الإسرائيلي على غزّة، ولأنّ المنتدى خليجي الطابع منذ تأسيسه، كانت هذه الدورة فرصة للوقوف على صورة بانورامية لتضامن شعوب الخليج مع القضية الفلسطينية، حيث تناولت الأوراق المقدّمة فيه بدايات نشوء هذا التضامن والمراحل التي مرّ بها، تبعاً لتطوّر القضية الفلسطينية نفسها، منذ أن كان المشروع الصهيوني مجرد فكرة، إلى أن نُفذّ باحتلال فلسطين وتهجير شعبها من أراضيه، ويسّرت هذه الأوراق التي قدّمها كل من أحمد الديين من الكويت، محمد القشعمي من السعودية، سعيد الهاشمي من عُمان، حسن مدن من البحرين الوقوف على تلك البدايات وما تلاها، فيما قدّم الباحث العراقي المقيم في الكويت، محمد العتابي، ورقة سلّطت الضوء على ثقافة المقاومة، كمأوى أخير للمثقف من الحملات المنهجة لتدجينه، ووقف عند مفهوم المثقف المقاوم، مضيئاً جوانب مهمة من هذا الموضوع. وأدار جلستي المنتدى كل من الشاعر مهدي سلمان والناشطة في الحركة التقدمية الكويتية هاجر المطيري.

عادل المتروك

المتروك: فلسطين محور النضال وبوصلة الانتماء

افتتح المنتدى بكلمة الأمين العام للمنبر التقدمي الرفيق عادل المتروك أوضح فيها إنه «انطلاقاً من الاهمية التاريخية التي تمر بها المنطقة، وفي إطار مواقف شعبنا وحركته الوطنية في دعم الشعب الفلسطيني وقضيته، اخترنا لهذه الدورة من منتدانا موضوع القضية الفلسطينية وشعوب الخليج، في إطار التأكيد على الطابعين الوطني والخليجي للمنتدى، حيث تسلط الأوراق المقدمة في المنتدى عن صفحات مجهولة من تضامن شعوبنا في الخليج مع فلسطين، تظهر النضالات والتضحيات التي خاضتها الشعوب معبرة من خلالها عن تلك المشاعر القومية والمواقف المبدئية، واليوم وبالرجوع الى تلك الحقبة الزمنية نستشعر مدى التراجع، ونعي المهمة التي علينا الان التصدي لها كي نعيد الزخم ونحيي الوعي باهمية مواجهة الصهيونية العالمية».

وأضاف المتروك: "لطالما كانت القضية الفلسطينية محور النضال، وبوصلة الانتماء القومي عند الشعوب العربية، وواحدة من أهم ركائز الوعي الأممي في مواجهة الاستعمار ومن أجل التحرر الوطني في العالم اجمع.

ان المنتدى الفكري وهو يحاول الكشف عن الارتباط الوجودي بين التحرر من الاحتلال الصهيوني واستقلال دول المنطقة وحرية شعوبها، انما هو في واقع الحال يكشف عن الدور القذر الذي يؤديه الاحتلال الصهيوني خدمة للإمبريالية، على اعتبار أن وجود الاحتلال واستمراره، ماهو الا امتداد جيوسياسي له وظيفة غايتها الهيمنة على شعوب المنطقة واخضاع دولها الى املاءات دول المركز، بغية ابقاء السيطرة المطلقة على الثروات الطبيعية ومسارات امداد الطاقة، وهو ما يعني ديمومة تقسيم العمل لصالح كفة اسرائيل، مبيناً أنه لاسبيل للخروج من هذه العقدة إلا بمقاومة الاحتلال».

■ الديين: ارتباط جدلي بين المقاومة الفلسطينية ومقاومة الشعوب العربية للإمبريالية وحلفائها

■ القشعمي: انتصر الشعب السعودي لأشقائه في فلسطين منذ بدء القضية الفلسطينية

الديين: جدلية العلاقة بين فلسطين والكويت:

أشارت ورقة الباحث والقيادي في الحركة التقدمية الكويتية أحمد الديين إلى أنه «عندما نعود إلى بداية العشرينات من القرن العشرين، وبُعيد سنوات قلائل من وعد بلفور، حينما كانت فلسطين خاضعة للانتداب البريطاني والكويت خاضعة للحماية البريطانية شأنهما في ذلك شأن معظم البلاد العربية الخاضعة للهيمنة الاستعمارية الغربية المباشرة، نجد أنّ المؤرخين يشيرون إلى أنّ وفداً برئاسة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ضم أمين التميمي ورشيد الحاج إبراهيم زار الكويت حينذاك لجمع التبرعات لإعمار المسجد الأقصى، وتلتها زيارة أخرى للحاج أمين الحسيني إلى الكويت في العام 1935 ضمن جولة عربية.

وأضاف: «لقد تفاعل الكويتيون مبكراً مع القضية الفلسطينية، ففي العام 1933 أرسل عدد من الشباب الكويتي رسالة إلى المقيم السياسي البريطاني في الكويت يحتجون فيها على سياسة التنكيل بالفلسطينيين التي مارستها سلطات الانتداب البريطاني، أما عندما اندلعت الانتفاضة الفلسطينية في العام 1936 فقد جمع الكويتيون التبرعات المالية دعماً لها، وشكلوا في أكتوبر من ذلك العام أول لجنة لمناصرة الشعب الفلسطيني ضمت سبع شخصيات وطنية كان على رأسها الشيخ يوسف بن عيسى القناعي».

وتتبعت الورقة مراحل تطوّر تضامن الشعب الكويتي مع فلسطين، حيث «مثّلت الانتفاضة الفلسطينية الثانية في نهاية سبتمبر من العام 2000 بداية مهمة لتسامي الكويتيين فوق جراحهم تجاه مواقف عدد من القيادات الفلسطينية والقسم المتعاطف مع الاحتلال العراقي للكويت بين الفلسطينيين المقيمين فيها خلال فترة الغزو والاحتلال في العام 1990، وبرز ذلك بشكل واضح وملموس في التجمع التضامني الحاشد للجماهير الكويتية في «ساحة العلم» الذي اتجه بعدها إلى مبنى مجلس الأمة».

وأضاف الديين: «جاء طوفان الأقصى ليعيد الاعتبار إلى المقاومة ودورها ويؤكد على نحو ملموس ذلك الارتباط الجدلي بين مقاومة الشعب العربي الفلسطيني للاحتلال الصهيوني مع مقاومة الشعوب العربية وقواها التحررية للهيمنة الإمبريالية وأنظمة التبعية والتطبيع».

المتحدثون في الجلسة الثانية

جانب من الحضور بعد اختتام المنتدى

مدن: مظاهرات صاخبة في شوارع المنامة والمحرق احتجاجاً على احتلال فلسطين

الهاشمي: سؤال فلسطين وحّد الخطابات الثورية العمانية المختلفة وصهرها في قناة واحدة

القشعمي: الشعب السعودي والقضية الفلسطينية

الباحث السعودي محمد القشعمي أشار في ورقته بالمنتدى إلى أنه في يوليو 1937، حمل أحد أعداد جريدة (أم القرى) السعودية العناوين الرئيسية البارزة: «الشعب العربي السعودي يغضب لشقيقه في فلسطين.. المظاهرات في طول البلاد وعرضها – الاضراب يشمل جميع المتاجر والحرف والأعمال.. الهتاف بحياة فلسطين مسلمة عربية مستقلة.. برقيات الاحتجاج لدى المراجع العليا تهزّ اسلاك البرق في طول البلاد وعرضها».

حين اطلع الناس على الجريدة، شهدت مكة حركة غير عادية، وساد الغضب الشعبي، واعتزم سكان العاصمة الإعلان عن شعورهم ذاك، وبدؤوا حركتهم بالاضراب العام الشامل طيلة ذلك يوم كامل، فقاموا بمظاهرات سلمية يلفتون بها النظر إلى شعورهم، واتقد الحماس، فأضربت المدن والقرى في سائر بلدات ومدن المملكة، واجتمع الأهلون في المساجد وطافوا بدوائر الحكومة ومصالحها لإبلاغ احتجاجهم.

ونقل القشعمي ما نقلته الصحافة السعودية يومها عن المظاهرات في الطائف ومكة وجدة، ليقيس عليه «مدى اتقاد الشعور في نفوس الأهلين ويقدر بنفسه ما يستطيع تصوره من حرج الحالة في سائر بلاد المملكة العربية السعودية، فقد امتد إليها الشعور العام بامتداد أسلاك البرق وفي سرعته الخاطفة حتى عم كل مكان وكل قرية وكل ضاحية».

سعيد الهاشمي: فلسطين والعُمانيون: بين النكبة والطوفان

ومن سلطنة عُمان أشار الباحث سعيد الهاشمي إلى أنّ «سؤال فلسطين استطاع أن يوحّد الخطابات الثورية العمانية المختلفة ويصهرها في قناة واحدة تصب دعمها ومناصرتها للثورة الفلسطينية رغم التناقضات الموضوعية والاختلافات في المنشأ والأهداف والأفكار والوسائل لكل منها. فكل التجارب الثورية العُمانية منذ الخمسينيات لصدّ التدخل البريطاني على أراضي الداخل العُماني، مروراً بالثورة العُمانية في النصف الثاني من الستينيات والأول من السبعينيات، وحتى التجربة المبكرة لحزب الاتحاد العماني، الذي أسسته النخبة العمانية في كراتشي، في مطلع الخمسينيات لم تغفل عن السؤال الفلسطيني وتآمر القوى الاستعمارية على فلسطين».

وأشار الهاشمي إلى «أن العمانيين عبّروا بوسائل عدة عن نُصرتهم لإخوتهم في غزة وانتفاضة طوفان الأقصى. من بين مظاهر هذه النُصرة: الخروج في مسيرات حاشدة بعد صلوات الجمعة، من أغلب مساجد وجوامع مدن وقرى البلاد. الاعتصام الاسبوعي بين صلاتي المغرب والعشاء في الجامع الأكبر في مسقط. وهو جامع الدولة الرئيس. حيث تم رفع شعارات لم تكن تخطر على بال أكثر العمانيين تفاؤلاً، من قبيل طرد السفير البريطاني والسفير الأمريكي. دعوات مقاطعة البضائع الداعمة للكيان والتي حققت نتائج لافتة أدت إلى إغلاق محلات تجارية وعلامات عالمية وتسريح عمال تلك الشركات. كما اقترح مجلس الشورى توسيع مقاطعة إسرائيل علاوةً على تنامي الدعوات لقطع تصدير النفط والغاز العماني لأي دولة تدعم الكيان في حرب إبادته على الشعب الفلسطيني».

مدن: محطّات من التضامن البحريني مع فلسطين

وفي تتبعه لنشوء وتطور التضامن الشعبي البحريني مع الشعب الفلسطيني أشار الرفيق د. حسن مدن إلى تشكيل أول لجنة تضامن بحرينية لنصرة كفاح الشعب الفلسطيني في 5 يونيو 1939 تحت مسمى لجنة إغاثة أيتام فلسطين، وهذه الأخيرة كانت الشكل الوحيد الذي استطاع فيه وطنيّو ووجهاء البحرين انتزاع هذا الاعتراف من الإنجليز، مشيراً إلى ألقاب وأسماء عائلات بعض أفرادها لإظهار تنوعها وتعبيرها عن كافة مكوّنات المجتمع البحريني، فهم يتحدرون من عائلات مثل البسام، فخرو، القصيبي، العليوات، كانو، المؤيد، العريض، القاضي، الزياني، الشيراوي، الجشي، بوحجي، الجودر، زليخ، أبل، المديفع، السيد علوي، البحارنة، السرور، الصفار، الفاضل، يتيم، الزائد. وفي الثامن من الشهر نفسه صدرت صحيفة «البحرين» على يد عبدالله الزايد، وتصدّرت فلسطين صفحتها الاولى، ومن عناوينها "شعور البحرين نحو نكبة فلسطين".

ونقلاً عن كتاب الباحث الراحل خالد البسام نقل مدن ما ذكره عن اجتماع أعضاء اللجنة في الأول من ديسمبر عام 1947 وقرارهم دعوة البحرينيين للإضراب تضامناً مع إخوانهم

رؤساء الجلسات وبعض مقدمي الأوراق

العتابي: يلعب المثقف المقاوم دوراً طليعياً في بناء الذات الثورية

الفلسطينيين لإظهار رفضهم لتقسيم فلسطين، وبالفعل نجحت الدعوة واستجابت لها البحرين، وفي صباح يوم الثاني من شهر ديسمبر أغلقت جميع الدكاكين في سوق المنامة احتجاجاً على قرار التقسيم، فيما سارت مظاهرة صاخبة في شوارع المنامة والمحرق شارك فيها المدرسون وطلبة المدارس الذين خرجوا من مدارسهم في المنامة والمحرق، يهتفون بسقوط الأمم المتحدة والدول الكبرى، وجرى في بيت فاروق تجمع شعبي كبير، ألقيت فيه خطب حماسية كثيرة وقصائد للشعراء أمثال عبدالرحمن المعاودة ورضي الموسوي، وكان للمرأة البحرينية مشاركتها القوية في تقديم أوجه الدعم المختلفة، بما في ذلك انخراطها في المظاهرات والاحتجاجات المتضامنة مع فلسطين.

العتابي: ثقافةُ التصدي سلاحاً

الباحث محمد العتابي تناول في ورقته ثقافة المقاومة، بصفتها سلاحاً في مواجهة المحتل، متوقفاً عند مفهوم «المثقف المقاوم»، كرديف لـ«المثقف العضوي»؟، او لما يصفه إدوارد سعيد بالمثقف الحقيقي، ما ينطبق أيضاً على توصيف الشهيد باسل الأعرج بالمثقف المشتبك، مشيراً إلى أن المثقف المقاوم هو ذاك «الذي ينطلق من أيديولوجيا واضحة باعتبارها مركزاً لمشروعه ولوظيفته التي تقتضي الخوض في عمليتيْ هدم وبناء دائمتين للحفاظ على توهج شعلة الإصلاح والمقاومة. بمعنى أن المثقف المقاوم هو مثقف يُمارس المشاغبة الواعية بشكل مستمر، وهو ما يذهب إليه غرامشي: المثقف دائماً في طليعة طبقته».

وتوقف العتابي عند ما وصفه بتسخيف دور الثقافة في التغيير، «وهي سياسة ممنهجة تحاول عزل المثقف عن مجتمعه، وهو ما يدحضه إدوارد سعيد الذي ذهب إلى أن الإمبريالية استقرت بالثقافة، واهتزت أركانها بالثقافة

فوزية العيوني

المقاومة، أو كما يصفها ابن خلدون الصراع بين الأمم الغالبة والمغلوبة. يلعب المثقف المقاوم دوراً طليعياً في بناء الذات الثورية».

وأكدّ الباحث على أن المثقف العضوي ينميز «بمعرفته الموسوعية التي تُمكنه من امتلاك الأدوات اللازمة، أدوات التحليل والربط والسياقات التاريخية، والاطلاع على التطورات الآنية بعين فاحصة ومتسلحة بالخزين المعرفي في الذاكرة. إنها العقبة الأولى دائماً أمام مفهوم «الموافقة»، وهي العملية التي لا تتطلب إجباراً مباشراً بقدر ما هي تدفق أفكار من «عقل» السُّلطة إلى الطبقات المحكومة من دون مقاومة أو صراع».

وأشار العتابي على ضرورة الدفاع عن مفهوم «الأيديولوجيا»

محمد العتابي

«التي حولتها الدعاية والميوعة الأمريكية إلى اتهام ووصمة تُلاحق حاملها أو المُدافع عنها، حيث يُصار إلى مادة للتندر والسخرية كإحدى مفاعيل السيولة الغربية.

هذه الحرب الشعواء على المعتقدات أدَّت إلى ترهُّلٍ عام في القطاعات الأكاديمية على سَبيل المثال».

قصيدة للشاعر الدميني

وتضمّن برنامج المنتدى إلقاء قصيدة للشاعر السعودي الكبير الراحل علي الدميني، على صلة ببالقضية الفلسطينية ألقتها زوجته ورفيقة دربه الشاعرة والأديبة فوزية العيوني.

عن معلماتنا الفلسطينيات

تروي الأستاذة التربوية أمينة الصالح في كتابها «بين اروقة التعليم.. هكذا رأيت» الصادر عن دار فراديس للنشر والتوزيع ٢٠٢٢ عن ذكرياتها مع المعلمات اللاتي كان لهن تأثير حقيقي على مسيرتها في التمدرس في سنوات المرحلة الإبتدائية، واستطعن بالكاريزما اللاتي تمتعن بها، وبأسلوبهن الممتع والمشوق أن يتربعن على شغاف عقلها ووجدانها، تذكر منهن معلمة مادة اللغة العربية فهيمة محمد دويغر، معلمة الرياضيات بدرية كاظم زمان، ثم الفلسطينية الأستاذة نيللي إبراهيم سعادة القادمة من بيرزيت، وتصفها الكاتبة بأنها «مبتسمة على الدوام، محبوبة بين المعلمات والتلميذات، وذات أساليب تدريسية وتشويقية تجبر على الإنصات طوال الحصة دون ملل، وقد نسجت معها أمينة علاقة طيبة تواصلت إلى المرحلة الثانوية، بل إن امينة طلبت من والدها زيارة نيللي في منزلها بفلسطين، وبالفعل حقق الوالد مطلب أمينة وقامت العائلة بزيارة نيللي حيث استقبلتهم في فندق خالها في مدينة القدس عام ١٩٦١.

عصمت الموسوي

وأكتب هذا المقال من وحي ندوة المنتدى الفكري الحادي عشر للمنبر التقدمي التي أقيمت في 21 من الشهر الماضي حول «شعوب الخليج العربي والقضية الفلسطينية»، مستذكرة تلك الأيام من بواكير عمرنا المدرسي عندما التقينا أول مرة بفلسطين عبر كراساتنا ومناهجنا وتوجه بلدنا السياسي، عن معلماتنا الفلسطينيات، اللاتي زرعن في وجداننا حبّ فلسطين والانتصار لها، بل والتعصب لكل ما يمتّ إليها بصلة، كنّا صغاراً وكانت فلسطين كبيرة، وستكبرالقضية معنا وستشكّل وعينا السياسي وضميرنا الإنساني وبوصلتنا نحو التحرر والنضال من أجل الحق، وستكون بلدنا على شاكلة كلّ المنطقة العربية وقادتها وشعوبها ومؤسساتها مناصرة لها وداعمة لحقّ العودة ومناهضة لكلّ أشكال التطبيع منذ النكبة وإلى ما قبل ما سمي بالاتفاق الإبراهيمي في العام 2021.

في المرحلة الابتدائية في مدرسة السلمانية دخلت إلى الفصل معلمة اللغة العربية، شقراء، نحيفة وطويلة وجميلة، عرفت نفسها بالقول: اسمي بشرى إبراهيم عمارة.. أنا من حيفا وأمي من غزّة، هاجر أهلي إلى غزّة وهناك ولدت وترعرت».

درس فلسطين الأول الحي تلقيناه على يد بشرى، منذ ذلك الوقت صارت فلسطين وقضيتها تحتل جزءاً كبيراً من الحصة المدرسية، بل إننا كنّا نستحثها لمواصلة الحديث على حساب الدرس الأساسي. هذه الفسحة رسخت في أذهاننا الطرية كالنقش في الحجر.

تركت بشرى البحرين لاحقاً وذهبت إلى مصر لاستكمال تعليمها الجامعي، انتهت معلمة في الكويت، تزوجت وأنجبت 5 أبناء تخرجوا من أعرق الجامعات ونالوا أعلى الشهادات العلمية كشأن أغلب الفلسطينيين، وظلّت بشرى على تواصل مع بعض المعلمات والطالبات ولا تزال.

كانت بشرى معبودة الطالبات، ننتظر العام الدراسي الجديد لملاقاتها، بل أن بعضنا يطلب تغيير الفصل من أجل أن نكون من تلميذاتها.

شريفة محي الدين مدرسة الجغرافيا في المرحلة الإعدادية في مدرسة عائشة أم المؤمنين، كانت شابة صغيرة ومخطوبة وتستعد للزواج في الصيف المقبل، وفي أحد الأيام تلقت استدعاء من إدارة المدرسة، برقية عاجلة لشريفة تفيد باستشهاد خطيبها في فلسطين. الصرخة التي أطلقتها في تلك اللحظة سُمعت في أرجاء المدرسة. غادرت في اليوم التالي ولم تعد.

وهل ننسى ليلى خالد معلمة اللغة العربية في الإعدادية إلتي لم ترتد طول العام سوى اللون الاسود؟، الصامتة الحزينة التي من النادر أن نجد ابتسامة على محيّاها، وكيف شرحت لنا قصيدة «حلم الذكرى» للشاعرة الفلسطينية المشهورة فدوى طوقان، والتي كتبتها بعد النكبة الفلسطينية عام 1948.

«خلال دخان علا واستدار رأيت الحمى خربة ماحلة
على العتبات تدبّ هوام، وتعبر قافلة قافلة
وشاهدت أشلاء قومي هنا وهناك على طرق السابلة
عيون مفقأة ووجوه غزى الترب ألوانها القاحلة
وكان هناك وراء الدخان قطيع تشتت في كل بيد
قطيع وديع بقية قومي، فهذا شريد وهذا طريد
تضللهم بالعراء الخيام وقد أخلدوا في هدوء بليد.

في ذكرى وعد بلفور الثاني من نوفمبر، هذا اليوم المشؤوم كما تشير وتذكر مقرراتنا ومناهجنا الدراسية، كنا نستفتح صباحاتنا بسماع الخطب والأشعار عبر الإذاعة المدرسية، وكنّا نرى الدموع والحزن والأسى على وجوه معلماتنا، نتفاعل مع مصابهن ونلتمس العذر لغيابهن وسفرهن المفاجئ.

هؤلاء المعلمات اللاتي أحببناهن وتلقين التعليم والتربية والتهذيب وحبّ فلسطين على أيديهن، لا زلن يستوطنّ ذاكرتنا الحية، إذ من خلالهن أدركنا نحن الصغيرات وفي هذا العمر المبكر أن فلسطين كأي وطن عزيز وغالٍ جدير بالتضحية والنضال من أجله، وطن يستحق الحياة كما يقول محمود درويش:

أرض البدايات...
أم النهايات...
كانت تسمى فلسطين...
صارت تسمى فلسطين.

بصراحة

ستون عاماً على انتفاضة مارس ١٩٦٥ المجيدة

فاضل الحليبي

مضى ستون عاماً على انتفاضة مارس ١٩٦٥ المجيدة، واحدة من أهم انتفاضات شعبنا، جاءت بعد أن سرَّحت شركة بابكو ألف وخمسمائة عامل وموظف من الشركة على دفعات، لم تسرح أو تفصل العمال دفعة واحدة، فحرمت مئات العوائل البحرينية من مصدر رزقهم الوحيد، بتسريح العائل: (الأب، الأخ، الابن). أُطلق على هذه الانتفاضة مسميات عديدة (الانتفاضة العمالية / ثورة شعب البحرين/ انتفاضة مارس) ، جاءت هذه الانتفاضة بعد عشر سنوات على قمع حركة هيئة الاتحاد الوطني (١٩٥٤ – ١٩٥٦)، من قبل الاستعمار البريطاني والرجعية، ومن المعروف بأن قيادة الهيئة تشكّلت من شخصيات وطنية ضمّت وجهاء وأعيان البحرين من الطائفتين الكريمتين، في وحدة وطنية قلَّ نظيرها في تاريخ البحرين المعاصر .

انتفاضة مارس 1965 المجيدة جاءت مميزة ومختلفة لطبيعة قيادتها من قبل الحركة الوطنية البحرينية (أحزاب سياسية ذات توجهات إيديولوجية)، واستمرت لعدة أشهر، وسقط فيها شهداء من مدن وقرى البحرين، وزُجَّ بالعشرات من مناضلي القوى الوطنية المشاركة في الانتفاضة في السجون والمعتقلات، وأخرون خرجوا إلى المنافي بعد ملاحقة أجهزة أمن المستعمر البريطاني لدورهم البارز في الإنتفاضة، كما برز فيها دور العمال والطلبة، بالإضافة لمشاركة المرأة البحرينية فيها بشكل واسع. تجسدت في الانتفاضة الوحدة الوطنية بين القوى السياسية البحرينية وصدرت العديد من البيانات المشتركة فيما بينها كان له أثر إيجابي على سائر فئات الشعب، إلقاء الكلمات المشتركة لممثلي القوى الوطنية وبالأخص في مدينة المحرق، ففي كتابه (يوميات من انتفاضة مارس 1965 – معايشة شخصية) للراحل المناضل المحامي محمد السيد، الذي دوّن فيه العديد من الأحداث بصفته قائداً ميدانياً بارزاً في المحرق، مثّل هناك جبهة التحرير الوطني البحرانية مع ممثلي القوى الوطنية الأخرى، كان يخطب في الجماهير المحتشدة إلى جانب ممثلي القوى الوطنية المشاركة في الانتفاضة، ففى يوم الاثنين بتاريخ 16 مارس 1965، ألقى خطاباً في المسجد الذي يقع في شارع الشيخ حمد.

بدأ كلمته بأبيات من شعر سليمان العيسى: "يلقاك بالدم ... دم الثورة المقل ... يا ثورة في زنود السمر تشتعل". ياعمالنا البواسل، ياعمالنا الأشاوس، يا جماهير شعبنا المناضلة، إننا في هذه الأيام نعيش انتفاضة شعبية حقيقية، ثورة تشتعل في قلوب العمال والفلاحين والكادحين الفقراء، إنها ثورة قامت بها جماهير شعبنا من جميع الطبقات الاجتماعية الكادحة، إنها ثورة العمال والطلاب والمدرسين والموظفين وجميع الكادحين، إن إضرابنا الشامل الذي عمَّ جميع مرافق العمل، وعمَّ جميع المدن والقرى من أجل مطالب وحقوق عادلة واضحة لا يختلف عليها أي من القوى الوطنية، إن جميع القوى الوطنية في تحالف والتقاء على جميع مطالبنا العادلة، وهي كما جاء في بيان وزعته القوى الوطنية وأكدت فيه على: إرجاع العمال المفصولين إلى أعمالهم، وقف توظيف العمالة الأجنبية على حساب العمال الوطنيين، نطالب بنقابات عمالية في جميع مواقع العمل تدافع عن حقوقنا ومطالبنا العادلة، وإحنا اللي نختار قياداتنا، نطالب بلجنة التحقيق في حوادث إطلاق النار على المظاهرات السلمية، يشارك العمال في اختيار ممثلهم فيها، لمعاقبة المجرمين، نطالب بإلغاء حالة الطوارئ، وإطلاق الحريات العامة... إن هذه وغيرها هي مطالب شعبنا ولن نحيد عنها" .

وجاء في كلمة السيد أيضاً: "أيها الأخوة الأعزاء...أيها المناضلون الشرفاء ...إننا في معركة حقيقية صعبة، القوى فيها ليست متكافئة، لكن تضامنكم ووعيكم، بتراص صفوفكم، والاستمرار في إضرابكم وإعلان احتجاجاتكم عن طريق المظاهرات هي السبيل الوحيد الذي ننفذ به إلى العالم، وبسواعدكم الثورية سنحقق مطالبنا...ياجماهير شعبنا المناضل...ليس عمال بابكو وحدهم الذين يعانون من الظلم والتعسف بل جميع قطاعات شعبنا تعاني من أزمات مزمنة كأزمة السكن وعدم وجود مستوصفات في المدن والقرى لعلاج الفقراء والكادحين. إن شعبنا يعاني من نقصٍ في المياه الصحية ونقصٍ في الكهرباء

مظاهرات حاشدة اثناء انتفاضة مارس ١٩٦٥م (بالمحرق)

حيث غالبية القرى وبعض المناطق في المدن بدون كهرباء ونعاني من تدني مستوى المعيشة وتدني الأجور ومن ظروف العمل السيئة. والبطالة المتفشية بين جميع المواطنين، هذه وغيرها من الأمراض والمشاكل المزمنة هي التي دفعت بجماهير شعبنا الأبي للقيام بهذة الانتفاضة بهذة الثورة المباركة .

كأن الرفيق المحامي الراحل محمد السيد، في وصفه هذا يتحدث عن هذه الأيام. كانت القوى الوطنية الديمقراطية حاضرة وبقوة في انتفاضة مارس 1965، الانتفاضة التي شاركت فيها الجماهير الشعبية في العديد من مناطق وقرى البحرين، انتفاضة عابرة للطوائف، وبفضل مناضلي الحركة الوطنية استمرت لعدة أشهر، وانتهت باعتقال قادة الانتفاضة وخروج بعضهم بشكل سري من البحرين، وقساوة الإجراءات البوليسية القمعية التي مورست من قبل قوات المستعمر البريطاني والرجعية ضد المناضلين والجماهير الشعبية، تمَّ إجهاض الانتفاضة وبقي الحلم الثوري بطرد المستعمر البريطاني من بلادنا، وتحقيق الحرية والاستقلال الوطني والديمقراطية والتقدم الاجتماعي يراود المناضلين وعشاق الحرية والثورة.

تحقق جزء منها في استقلال البحرين في الرابع عشر من أغسطس عام 1971، وإصدار أول دستور في البحرين من خلال المجلس التأسيسي في يونيه عام 1973، وجرت أول انتخابات نيابية في البحرين في السابع من ديسمبر عام 1973، ففاز العديد من مناضلي وقادة انتفاضة مارس 1965، أعضاء كتلة الشعب اليسارية.

ستبقى انتفاضة مارس 1965، حدثاً هاماً في تاريخ شعبنا وحركته الوطنية الديمقراطية، المجد والخلود لشهداء الانتفاضة وكل شهداء شعبنا.

(قف)

مخطط ترامب.. جريمة حرب وتطهير عرقي

آثار موقف الرئيس الأمريكي ترامب ومخططه بالسيطرة على قطاع غزّة وتهجير أهله وتحويله إلى منتجعات سياحية لأغنياء العالم باستثناء أهله، الكثير من الاستنكار والاستهجان من كل دول العالم حيث إن هذا المخطط يعتبر حسب القوانين الدولية جرائم حرب وتطهير عرقي.
في مقاله المنشور في صحيفة "الاتحاد" الفلسطينية، يقول الكاتب الفلسطيني التقدمي عادل عامر، بالطبع حظى هذا المخطط بترحيب إسرائيلي ليس فقط من الجناح اليمني واليمين المتطرف في الخارطة الحزبية الإسرائيلية وإنما شمل أيضًا غانتس وفريقه الذي يعتبر نفسه من أحزاب المركز والوسط.

ترامب في تبريراته لمخططه الإجرامي لترحيل أهالي غزّة وتهجيرهم من وطنهم أكد أن غزّة أصبحت مكانًا غير قابل للحياة بسبب الدمار والتدمير الذي تعرض له القطاع على يد الآلة العسكرية الإسرائيلية المدعومة والممولة أمريكيًا.

وإذا ما استثنينا "حنية" ترامب الذي انهالت عليه فجأة على سكان غزّة و"حرصه" على مصير ومستقبل الشعب الفلسطيني، فإن هذا التبرير هو الوحيد الذي يستند إليه في سياق حماسه لمخطط الترانسفير، وهو بالضبط ما هدفت إلى تحقيقه الآلة العسكرية الإسرائيلية في غزّة منذ بداية الحرب، الإيغال في سياسة التوحش في التعامل مع الشعب الفلسطيني في غزّة لتحويل القطاع ومدنه وحضارته مكانًا وحيزًا لا يصلح للحياة البشرية.

أما ما غاب عن ذهن ترامب ونتنياهو، هو المعنى الذي يحمله حيز المعيشة هذا للإنسان الفلسطيني وطبيعة علاقته به، ليس فقط بحكم التجربة التاريخية للجوء الفلسطيني من النكبة إلى النكسة بل بحكم روابط الانتماء العميقة للأرض والوطن والهوية الفلسطينية وعمقها ومدى تجذرها في الوجدان الفردي والجمعي للشعب الفلسطيني وتعامله مع الأرض كوطن وهوية وليس تعاملًا رأسماليًا نفعيًا يعتمد قواعد الربح والخسارة، كذلك الذي يفهمه تاجر العقارات ترامب.

ثم ينهي الكاتب مقاله مشيرًا إلى أن المنطق الذي يحكم العلاقة بين الفلسطيني هو ليس منطق التعامل بوحدات القياس العقارية والرأسمالية، بل هي علاقة وجودية ووجدانية تشمل كافة مركبات الهوية العميقة للتاريخ والجغرافيا.

ولهذا فإن مقومات فشل مشروع ترامب موجودة بنيويًا في مكونات الوجدان الفلسطيني أينما وجد، بغض النظر لنوعية مخططات التصفية التي يواجهها الفلسطيني على كل الأصعدة.

وفي نقده لمخطط ترامب التدميري ، يقول رئيس تحرير جريدة "الأهرام" إبراهيم الدسوقى، إن ترامب يتحدث أينما ذهب بلغة التجار الجشعين، فكل ما يصادفه قابل للبيع والشراء، رغمًا عن أنف المالك الشرعي للبضاعة، ووفقًا للسعر الذي يتكرم ويتعطف بتحديده، فهو يريد، من بين أشياء أخرى، امتلاك قطاع غزّة والاستيلاء عليه، وكأنه قطعة خالية بالولايات المتحدة مطروحة للبيع في مزاد علني للأعلى سعرًا، لإقامة مشروعات عقارية ضخمة تباع للأثرياء والمقتدرين ماليًا من الأمريكيين والأوروبيين، أما عن الغزاويين الذين سالت دماؤهم دفاعًا عن أرضهم وممتلكاتهم فيجب أن لا يُحدثوا ضجيجًا، وأن يوافقوا صاغرين على التهجير والتطهير العرقي في هدوء حتى لا يزعجوا العم سام وفتاه المدلل، إسرائيل، ويحذو حذو الأمريكيين الأوائل في الماضي السحيق فيما فعلوه مع الهنود الحمر أصحاب الأرض الأصليين.

كانوا يقولون إنه من أجل الوصول إلى أي حل سياسي في الشرق الأوسط، يجب المرور عبر القضية الفلسطينية. لكن الأمريكيين كانوا يكذبون عندما تحدثوا عن حل الدولتين. هذا الحل كان بالنسبة لهم دائمًا للمستقبل البعيد وليس للوقت الحالي. الآن ما يُراد هو أنه بدلًا من أن يتمكن الشعب الفلسطيني من إزالة الاحتلال، يقوم الاحتلال بإزالة الشعب الفلسطيني. لكن المشروع الأمريكي ليس مشروعًا فلسطينيًا، ولا حتى مشروعًا شرق أوسطيًا. إنه مشروع عالمي، وهو جزء من حربه ضد الصين. لذلك كانت إسرائيل ذراعًا له لإعادة ترتيب المنطقة إلى "الشرق الأوسط الجديد" لصالح أمريكا. بالطبع، استمرت الولايات المتحدة في التدخل لتدمير وزعزعة استقرار الدول في المنطقة - العراق، ليبيا، اليمن، لبنان، السودان، ودعمت القوات الإرهابية في سوريا- والجيش الأمريكى لا يزال يحتل سوريا.

لمعارضة خطط ترامب ونتنياهو نحتاج إلى الوحدة. بالنسبة للعالم العربي، يجب أن تكون هناك قمة عربية حقيقية مع قرار واضح يرفض هذا المخطط، ورفض التطبيع مع إسرائيل ما لم يكن هناك حل سياسي - إنهاء الاحتلال وإقامة دولة فلسطينية. أي أن تكون هناك دولة فلسطينية مستقلة على حدود ١٩٦٧، مع القدس الشرقية عاصمة لها، وسحب المستوطنات والقوات الإسرائيلية، وحل قضية اللاجئين الفلسطينين وفقًا لقرارات الأمم المتحدة. بالنسبة للفلسطينيين الآن، فإن هذه لحظة مسؤولية تاريخية لجميع الفصائل الفلسطينية أن تتوحد، وأن تجد طريقة لإعادة بناء المؤسسة الوحيدة التي يمكن أن توحد القوى الفلسطينية، وهي منظمة التحرير الفلسطينية. يجب توسيعها لتشمل كل المنظمات والفصائل الفلسطينية، وإصلاحها، هذا ماذكره عصام مخول عضو سابق في الكنيست الإسرائيلي وعضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي في حوار أجرته معه صحيفة "مورنينغ ستار" البريطانية اليسارية.

فهد المضحكي

بعد الصفقة الهشة.. جرائم العدو لا تسقط بالتقادم

وصف الرئيس الأمريكي، القديم الجديد دونالد ترامب إطلاق النار في غزّة بأنه "ملحمي" دون ان يجعل الكيان المعتدى موضوعاً للتوبيخ والمؤاخذة. اتفاق أكد فى نهاية الأمر أن نتنياهو أبعد ما يكون عن النصر، والفلسطينيون فى غزة أبعد ما يكونون عن الهزيمة، ولذلك وجدنا بعض المحللين وهم يذهبون إلى ما يفيد بأن قراءة الواقع تؤكد أن الهيبة الإسرائيلية انكسرت، ولكن غزة لم تنكسر بسبب الصمود الأسطورى للشعب الفلسطينى، وإذا كان هناك من يرى أنه ليس هناك اجابات حاسمة قاطعة خاصة تلك التى تتصل بالنيات والتقديرات والحسابات ولا سيما إذا كانت هذه الإجابات ممن لا يرون فى الكيان الصهيونى بأنه كيان غاصب وعنصري وفاشي ولكن بالمقابل اتضح للعالم أن كل الحجج الخاصة بتصفية القضية الفلسطينية قد دحرت، وفى الوقت ذاته مست فى الصميم كل تلك الادعاءات التى يزعم أصحابها من زعماء ورؤساء دول بأنهم أحرص ما يكونون على السلم والأمن والاستقرار فى المنطقة، ولكنهم فى الوقت ذاته يتجاهلون أن ذلك هدف لن يتسنى بلوغه إلا بإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وإعطاء الشعب الفلسطينى حقه فى تقرير مصيره.

خليل يوسف

هذا أمر جددت منظمات حقوقية عربية ودولية التأكيد عليه باعتباره من الثوابت الجوهرية وهو ان إنهاء الاحتلال الاسرائيلي للأراضى الفلسطينية استحقاق يفرضه القانون الدولي وليس كما تحاول بعض الدول الغربية التى لاتزال تسعي للالتفاف على هذا الحق حين تحصر دعواتها وجهودها على معالجة الأزمة الإنسانية، هذه الدول لم تدافع عن الديمقراطية ولاعن حقوق الإنسان، او حقوق المرأة والطفل، وتعامت عن ما يقتضيه الواجب والضمير ..!

الضمير الذى تحتفل به تلك الدول والمجتمع الدولي بوجه عام بيوم عالمى فى 5 أبريل من كل عام ، وهو اليوم الذى نصت ديباجة الإعلان عنه فى عام 2019 من قبل الجمعية العمومية للأمم المتحدة على انه يأتى من منطلق "أن تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الانساني"، هل يمكن تجاهل أن هذه الحرب هزّت الضمائر الحية فى العالم بشكل فاق حدود التصور والخيال، وفى الوقت ذاته كشفت أن هناك من ضرب بعرض الحائط كل ما خالف الضمير الإنساني وعبّر عن قمة ازدواج المفاهيم والمعايير والمبادئ والقيم الحقوقية والإنسانية. كلها سقطت على أعتاب غزة والمأساة التى عاشها ويعيشها الشعب الفلسطيني، ألم يحدث ذلك حدث وسط صمت و تواطؤ دولي وتخاذل عربي وانقسام فلسطيني، وجامعة للدول العربية، المحيّر فى أمرها أن لا دور لها .. كأنها فى غيبوبة.

نأتى إلى "الصفقة"، أو اتفاق "الهدنة "، أو الاتفاق "الملحمي"، أو الاتفاق "الملغم" الذى لايعرف أحد ما بعده وجدنا من هلل ورحّب وطبّل وتفاءل وأشاد بهذه النتيجة فى ردود فعل عربية واقليمية ودولية، ولكن لم يتحدث عما إذا كان هذا الاتفاق «الملحمي» سينهي بشكل دائم الحرب الوحشية على غزة، ولا عن ما يمكن أن يبنى على هذا الاتفاق، كما لم يتحدث عن قضايا جوهرية وفى مقدمتها الأفق السياسي اللازم والمطلوب للقضية الفلسطينية، وسيكون على من تساءلوا عن من المهزوم ومن المنتصر مراجعة حساباتهم لأن القضية الفلسطينية ستبقى حية ومستمرة لأنها قضية شعب يقاوم الغزو والاحتلال، شعب ضرب أروع صور التحدى والصمود برغم كل التحديات والأوجاع وبرغم كل ما حدث له من تمزيق وترويع وقتل وابادة جماعية ومحاولات تهجير ظل شعب صامد ومتمسك بالبقاء والأرض، وأثبت أن القضاء عليه ضرب من ضروب المستحيلات .

علينا أن نلاحظ أن الاحساس العام لدى الكثيرين فى الكيان الصهيوني بالهزيمة أقوى من زهوهم بالنصر وذلك يعود لأسباب عديدة لعل من أهمها انهيار نظرية الردع والقبة الحديدية، وسقوط أوهام كثيرة كانت تروّج لها الدولة العبرية ومنها أنها الدولة التى تمتلك أكثر الجيوش «أخلاقية» فى العالم. لقد ثبت عكس ذلك بعد المجازر والوحشية والتدمير العشوائي وحرب الإبادة وكل الفظائع التى جرت على مرأى ومسمع من العالم، ويضاف إلى ذلك فشل استعادة الرهائن لولا الصفقة، وحدوث انشقاقات وتصدعات داخل المجتمع الاسرائيلي، إلى جانب الخسائر الاقتصادية الفادحة أن ما جرى فى غزة لا يحتاج إلى اي شروحات يكفى القول إن القادم منها اخباراً، تقارير، ومشاهد دم، وقتل، وابادة لأكثر من 470 يوماً كلها تفتح أبواباً للوجع وحفرت مكانها فى الذاكرة، مشاهد عكست صبر آباء وأمهات وجدات وأجداد ونساء ثكلى، ورجال ودعوا فلذات أكبادهم، وشعب ضاقت بهم الأرض وحاصرهم ليس العدو فقط بل حتى الشقيق والصديق ..!

لقد وجدنا من يحذر ويقول إنه من الخطأ الإغـراق فى التفاؤل ووجوب الاستعداد لكل الاحتمالات، لذا يمكن القول ُنه لم يكن مستغرباً حتى فى ظل الحديث عن قرب انجاز المراحل النهائية من "الصفقة " لم تتوقف شلال الدماء الفلسطينية إذ ظلت حتى لحظة الإعلان عن التوصل إلى الصفقة باستمرار القصف وتسجيل استشهاد العشرات وهم يحتفلون بإعلان وقف العدوان، إضافة إلى ذلك وجدنا أطرافاً اسرائيلية متطرفة وهى ترفض الصفقة المزعومة وتصفها بالكارثة على الأمن القومي لإسرائيل، وهناك من الجانب الصهيوني من اعتبرها أسوأ الصفقات الكارثية التى عقدتها إسرائيل فى تاريخها على الإطلاق، وهناك من نفس الجانب من قال إن الصفقة لا تشعرنا بالنصر وأن معايير النصر مختلفة عن مفهومها المعتاد، وأحد وزراء هذا الكيان أعلن صراحة وبوقاحة: «إن الحرب لن تنتهي بأي شكل من الأشكال دون تحقيق أهدافها كاملة، وفى مقدمتها التدمير الكامل لحماس فى غزة " ..!!، ولذلك يكفى القول إن الاتفاق سيظل يترنح بين مراوغات نتنياهو وألغام التفسير والمسكوت عنه وعلى الجميع الإقتناع بأن الحلول المؤقتة ليست كافية لإنهاء معاناة الفلسطينين، كما أنها ليست لعودة الأمور لنصابها الصحيح والمطلوب ..!

سؤال فرض نفسه؛ هل يمكن أن تختلف جهنم وبوابات جحيم ترامب التى وعد بها الفلسطينيين قبل أن يطلق ولايته الرئاسية الجديدة إذا لم يطلق سراح الأسرى الاسرائيليين عن جهنم التى عايشها ويعايشها أهل غزة طيلة الخمسة عشر شهراً الماضية وحتى الآن ..؟!، وهل ستظل ردود الفعل، والمعادلات السياسية الجديدة التى تثير وابلاً من التساؤلات والمخاوف تدور حول قاسم مشترك ميزته إغفال التصدى لجوهر المشكلة، وشطب فلسطين كقضية عادلة، وحقوق مشروعة، ويتجاهل الجميع أن جوهر المشكلة هى القضية الفلسطينية، والدولة الفلسطينية المستقلة كاملة الأركان

والمقومات، الأمر المؤكد والثابت أن القضية الفلسطينية لا زالت قضية الشعوب العربية الأولى والكبرى رغم كل العراقيل، وكل المؤمرات، وكل التخاذلات، وكل الشعارات المزيفة، وكل محاولات وضعها فى دائرة المراوحة التى يُجتر فيها الكلام للتملص من الالتزامات وازدراء الحق الفلسطيني.

بالنسبة لنا فى البحرين كان معبراً ذلك الموقف الذى عبرت عنه جمعياتنا السياسية فى بيانها المشترك على خلفية اتفاق وقف العدوان على غزة والذى أكدت فيه على أن وقف اطلاق النار ليس نهاية المطاف بل يجب أن يكون بداية لتحقيق العدالة وإنهاء الاحتلال بشكل كامل، وإحالة مرتكبي جرائم الحرب إلى المحاكمة بتهم تتعلق بجرائم حرب، وفى الوقت ذاته جددت رفضها لكل أشكال التطبيع مع الكيان الصهيونى وعدم منح الشرعية لكيان اغتصب الأرض وارتكب جرائم حرب، وأبدت الجمعيات تقديرها الكامل لشعب البحرين لوقفته المخلصة وتضامنه مع الشعب الفلسطينى ونصرته فى نضاله العادلين اجل الحرية والكرامة، ويشهد له وقفاته التضامنية المستمرة ولا زلت اذكر تلك اللافتة المعبرة التى رفعها احدهم فى احدى الوقفات "قضيتنا فلسطين .. ما لكم لا تناصرون" وهى رسالة احسب انها موجهة للجميع.

ذلك هو موقف شعب البحرين الثابت والداعم لنصرة القضية الفلسطينية، والمؤمن بقيام الدولة الفلسطينية المستقلة التى لم يضع الصهاينة نصب أعينهم أبداً، ولا يضعون نصب أعينهم اليوم ولا غداً قيامها، وهى بالنهاية ستقوم مهما «ألقوا القيود على القيود"، كما قال الشاعر توفيق زياد فى قصيدته "من وراء القضبان"، وربما فى محله استدعاء ما قاله فى قصيدته "الجوع إلى الحرية «التى ألقاها فى الناصرة أواسط مارس 1971، وكأنه يتحدث عن كل بشاعات الاحتلال وعنصريته وفاشيته وارتكابه فى غزة اكثر العمليات الحربية انفلاتاً و قذارة مارسها دون هوادة طيلة سنة وثلاثة أشهر، يقول الشاعر زياد:

فى التاريخ حروب لا تحصى ولا تعد
أنهكت الأرض، وأهل الأرض
لكن .. هنالك حرباً واحدة مشروعة
هى حرب المظلومين على الظلام
حرب النور على العتمة
حرب الإنسان على الإنسان – الحيوان
والجوع إلى الحرية كان .. والجوع إلى الحرية ما زال
الأجمل والأقسى فى تاريخ الإنسان .. فى كل زمان ومكان

بعد "الصفقة" الهشة التى هى خطوة على طريق طويل وبعد ان وضع الجحيم أوزاره وصمود أسطوري للشعب الفلسطيني فى غزة فد يكون مهماً التأكيد بأن حرب الإبادة وكل الجرائم التى ارتكبت فى غزة لا تنسى ولا تسقط بالتقادم، وهنا من المناسب ان نستحضر تلك الكلمات الرائعه لنجيب سرور "لا حق لحي أن ضاعت فى الأرض حقوق الأموات ".

غــزّة .. النصر المبجل

قاسم الحلال

تحية انتصار صمد الكيان الصهيوني ووقف متراساً في وجهه، وحقق الشعب الفلسطيني هذا النصر وحيداً لا مناصر له الا الشعوب، بما فيها شعوب الأنظمة الغربية التي تناصر العدو.

لقد جسدت انتصارات المقاومة الفلسطينية البطلة في السابع من أكتوبر 2023 ضربة استباقية كسرت فيها هيبة إسرائيل (الجيش الذي لا يقهر)، وأوقفت قطار التطبيع، وأثبتت خطأ الكيان الصهيوني في رسم الحسابات بأنها تراجعت عن أحلامها في الاجتياح بدباباتها (الميركافا) المدججة بأحدث العتاد والجنود التي تطايرت اشلاءً في الهواء، وباءت فكرة تحرر الرهائن ونزع سلاح المقاومة بالفشل، وإعادة احتلال قطاع غزة وتحرير الأسرى بالقوة، تهجير سكان غزة، إنهاء حكم حماس، اغلاق معبر رفح نهائياً، ترحيل قيادات حماس، احتلال معبري نتساريم وفيلادلفيا، إعادة بناء مستوطنات بغزة، استمرار حصار غزة وتجويعها، فشل اتخاذ قرارات حلف ناتو شرق اوسطي، لم يفلح الغرب بقيادة أمريكا في امداد الكيان الصهيوني بالسلاح، حيث تصدت لها القوات المسلحة اليمنية الباسلة للبارجات الأمريكية والبريطانية.

لقد وقف العالم بأجمعه مؤيداً فأوقف عجلة الاقتصاد الإسرائيلي بالمقاطعة، حيث وقوف الحاخامات الإسرائيلية وتحييد بعضها (الحريديم) الذين يحرمون الحرب.

لقد صمد الشعب الفلسطيني في وجه الكيان والمجازر والإبادات التي تعرض لها الشعب الفلسطيني فمنذُ نكبة العام 1948 على أيدي العصابات الصهيونية الإرهابية بعد أن ذاق العذاب على أيدي الاستعمار العثماني والبريطاني الذي وفرّ الدعم والحماية والرعاية لهذه العصابات وأشعل وأجج نيران الحروب في الوطن العربي، وهاهو الشعب الفلسطيني اليوم يتعرض لإبادة بشعة راح ضحيتها المدنيّون الذين تعرضوا للتنكيل وسويت بيوتهم بالأرض وباتوا في العراء وهجروا من منطقة إلى أخرى تحت وابل من الصواريخ وحرموا من الأكل والشراب والدواء وقصفت المستشفيات والمساجد والكنائس وأغلقت كل المعابر في وجه المساعدات الإنسانية من كل الدول بما فيها الدول العربية المتفرج على شعب يدفن قتلاه وهو جائع دون مبالاة، رغم إصرار الشعوب على ادخال المساعدات، متألماً لا يملك إلا حناجره واصراره على وقف التطبيع وطرد سفراء العدو من بلداننا فلا حياة لمن تنادي.

إن صمود الشعب الفلسطيني بوجه المحتل الإسرائيلي في عدوانه الذي طال، مستقوياً بالدعم الإمبريالي والتواطىء العربي، شجعه على التمادي في انتهاك القوانين والأعراف الدولية وتحديه للعقوبات المفروضة عليه، وليس هذا الدعم الإمبريالي للمحتل الصهيوني بجديد، فقد بدأت الجريمة المحاكة ضد الفلسطينيين على خطأ منذ وثيقة 1878 التي قدمها رئيس وزراء بريطانيا بينجامين دزرائيلي آنذاك التي جدد فيها (استئصال فلسطين) وتوطين يهود أوروبا.

أميـركـا.. إلـى أيـن تقـود عـالمنـا ؟

المتتبع لحالة الأوضاع السياسية والاقتصادية حول العالم لا يمكن له أن يهمل حالة التأزم والتوترات المتزايدة في أكثر من منطقة وبقعة حول العالم، كما أنه لا يمكن أن يغفل تراجع دور المؤسسات الدولية الناظمة بشكل متزايد، خاصة بعد انتهاء ما اصطلح على تسميته بالحرب الباردة، أي بعد سقوط المعسكر الاشتراكي كقوة وازنة في المشهد الدولي حينها، وما تبع ذلك من تحولات جيوسياسية واقتصادية وتحالفات، وتغيرات في موازين القوى الدولية. تلك التحولات في مجملها سمحت للولايات المتحدة الأميركية ببسط هيمنتها على مجمل المشهد العالمي وبالتالي على المنظمات الدولية والتحكم في مواقع القرار الدولي.

عبد النبي سلمان

مع تبدل السياسات وتعاقب الرؤساء والإدارات الحاكمة للولايات المتحدة، بقي نهج الهيمنة هو العنوان الأبرز والمبني على ضمان استمرار بسط السيطرة على العالم

وبفعل تنامي نهج الهيمنة والسيطرة الإمبريالية المكشوف لدى الولايات المتحدة الاميركية وحلفاءها الغربيين، وما يصاحبه من نزعات جشع واستعلاء وحتى سقوط اخلاقي، فضح بدوره ممارسات ما سمي بنظام العالم الحر، على الرغم من كل محاولات التجميل التي صاحبته تحت دعاوى مثل نشر الديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان تحت مظلة حماية النظام الدولي، الذي أصبح في واقع الحال نظاماً لحماية المصالح الإمبريالية الأميركية وما يتبعها من أنظمة ودول حليفة.

ومع تبدل السياسات وتعاقب الرؤساء والإدارات الحاكمة للولايات المتحدة، إلا أن نهج الهيمنة هذا بقي هو العنوان الأبرز، والذي بني اساساً على ضمان استمرار بسط السيطرة عبر أساليب القوة العسكرية وأدوات التخريب المجربة، والتي من بينها على سبيل المثال لا الحصر إشعال الحروب والقلاقل والانقلابات العسكرية وتغيير أنظمة الحكم بالقوة المسلحة أو بالثورات المصطنعة أو عبر حروب بالوكالة، دون توقف نزولاً عند اشتراطات ما عرف بالمجمع الصناعي العسكري، أو باضعاف الدول وإغراقها المستمر في أوضاع اقتصادية مزرية ومديونيات لا طاقة لها بها، تحت ذرائع مثل الإصلاح الاقتصادي المزعوم ضمن أجندات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، أو حتى بفرض حصار اقتصادي وسياسي وعزلة مستمرة لتقويض دعائم الاستقرار في أكثر من منطقة أو دولة لصالح حسابات سياسية محددة تفرضها طبيعة النظام الدولي ومصالح القوى المسيطرة فيه.

تلك وغيرها من المسلمات طبعت بدورها طبيعة وبنية النظام الرأسمالي ، وبشكل اكثر تأثيراً بعد انفراد الولايات المتحدة بناصية القرار الدولي، لكن مما يمكن ملاحظته خلال السنوات العشر الأخيرة على الأقل، أن نتائج تلك السياسات أضحت آثارها مدمرة على العالم بأسره بصورة مفضوحة، والتي تكشف في جوهرها عن حجم التحديات والمصاعب التي يواجهها النظام الرأسمالي العالمي ذاته بقيادة الولايات المتحدة بفعل بروز قوى دولية وتجمعات جيوسياسية مؤثرة تحاول أن تعيد حالة مرجوة من التوازن المفتقد منذ ما قبل انتهاء الحرب الباردة، لضمان مصالح تلك القوى الكبرى الوازنة مثل الصين وروسيا والهند وغيرها من الدول ذات التأثير الفاعل في صياغة المشهد الدولي بصورة اكثر عدالة واحتراما للقانون، مع ضمان استمرار واحترام المؤسسات والمنظمات الدولية الناظمة لحالة الاستقرار العالمي، لذلك يجب أن نفهم تلاعب الولايات المتحدة بمصير العالم بأساليب متعددة، تارة عبر تدخلاتها السافرة ضد مصالح الدول وعدم التورع عن استخدام أدواتها التخريبية المتاحة من تدخلات وحروب وفتن وإلغاء لدور المؤسسات الدولية كما يحصل مع تلاعبها وتجييرها لمنظمات مثل مجلس الأمن والأمم المتحدة لخدمة مصالح الولايات المتحدة وحدها، مثل خروجها غير المبرر من منظمة الصحة العالمية، وخروجها المعلن من اتفاقية باريس للمناخ، والإيعاز لأداتها المدمرة على ارض فلسطين، دولة الكيان الصهيوني بإلغاء دور وجهود الأنروا وتجريمها لمحكمة الجنايات الدولية فقط لأنها تجرأت بإدانة رئيس وزراء الكيان الصهيوني ووزير حربه السابق وأعضاء من حكومته، جراء ما اقترفته حكومة الاحتلال من إبادة اجماعية ضد الشعب الفلسطيني المقاوم للأحتلال، وقف العالم بأسره ضدها.

وهي لم تكتف بذلك بل إنها مستمرة في خلق الذرائع والحجج لإبقاء حالة مستدامة من التشنج الدولي، كما تفعل مع تغيير مسمى خليج المكسيك ليصبح خليج أميركا والإيعاز لشركة غوغل بتبني المسمى الجديد! وهي في طريقها لتحقيق مشروع ادارتها الجديدة ورئيسها دونالد ترامب بالاستيلاء على قناة بنما كممر مائي عالمي هام، والدعوة لضم كندا لتصبح الولاية الحادية والخمسين للولايات المتحدة والمطالبة بضم جرينلاند الدنماركية، بالإضافة إلى سعي الولايات المتحدة الأميركية لإنهاء حربها المفتعلة أصلا في أوكرانيا منذ سنوات ضد روسيا، والتي راح ضحيتها ما يقارب المليون إنسان، مقابل ثمن الحصول على خمسين في المائة من معادن وثروات أوكرانيا، والدعوة لطرد الشعب الفلسطيني في غزة المقاومة وإبادته وتهجيره بالقوة إلى دول الجوار في مصر او الأردن او حتى إلى المملكة العربية السعودية وإندونيسيا! في استهتار واضح بأبسط مقومات وأسس القانون الدولي والعدالة الإنسانية وحقوق الإنسان.

علينا التأكيد هنا أن تلك الحروب وذلك الخراب لم يحدث بسبب إدارات أميركية بعينها أو عبر وصول رئيس ديمقراطي او حتى جمهوري، فالاثنان لا فرق بينهما لأن الواقع يكذب ذلك على الدوام، إنما هو نهج متأصل في كيفية إدارة الولايات المتحدة الاميركية زعيمة النظام الرأسمالي العالمي وتوابعها من الدول الغربية لعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية التي خرجت بعده الولايات المتحدة الاميركية كإحدى أكبر القوى المنتصرة، مستغلة حاجة أوروبا والعالم لقيادة جديدة جراء ما ترافق مع تلك الحرب المدمرة من دمار على كل المستويات والحاجة بعدها لبناء نظام عالمي تصبح فيه اميركا القوة المهيمنة دون رحمة على العالم!

ومع دخول الولايات المتحدة الأميركية في مراحل شيخوختها وجنونها، ومع ترهل إداراتها ونظمها الداخلية، وانفضاح مستويات الحالة الديمقراطية العآمة وحقوق الإنسان فيها ، وتزامن ذلك مع حجم التحديات غير المسبوقة أمامها، خاصة مع ما تمثله الصين كحالة اقتصادية متعاظمة يصعب ايقافها في ظل المعطيات القائمة حالياً، لذلك أصبح لزاماً على صانعي القرار الاميركي، بغض النظر عن من يدير البيت الأبيض، ان يستمروا بجنون العظمة والاستعلاء الذي أدمنوه لعقود طويلة ان يرفضوا ولو مؤقتا النزول او التنازل أمام ما يواجههم من تحديات فعلية، مستمرين في نهج مجابهة

القوى المؤثرة واستحلاب القوى الضعيفة، أو محاولة تدمير منافسيهم الحقيقيين امّا عبر استخدام القوة العسكرية والحصار وشلّ القدرات الكامنة، كما يحدث مع روسيا المحاصرة منذ أكثر من ثلاث سنوات مضت، مستخدمين ما أتيح لهم من أدوات تخريبية وحروب عبثية وصولاً لاستخدام سلاح النفط ومحاولة التلاعب بالقوى المنافسة للولايات المتحدة في اسواق النفط العالمية، أو محاولة فرض قيود وتعرفة جمركية غير عادلة ليس على الصين لوحدها وإنما حتى على أقرب حلفاء أميركا مثل دول الاتحاد الأوروبي وكندا وكذلك على الصين والهند.

وفي المقابل تتصاعد الدعوات مع وصول الرئيس الجديد للعودة مجددا نحو منطقتنا العربية والخليجية على وجه التحديد، لمحاولة تكرار نهج الابتزاز وسرقة خيرات وموارد شعوبنا. من اجل اشباع نهم وجشع الإدارة الاميركية دون الالتفات لما يمكن أن توصله تلك الدعوات المجنونة من دمار وتخريب وسرقات، وبالتالي حروب وتشنجات دائمة وغياب كامل للعدالة والقانو الدوليين في ابسط صورهما!

تلك مؤشرات لابد لنا من قراءتها جيداً وبتمعن أكبر ونحن نتابع حالة المشهد الدولي العالمي وانعكاساته المنتظرة على العالم بأسره، وتحديداً على دولنا ومقدرات شعوبنا الخليجية والعربية، خاصة عندما تصبح تلك الدعوات مقرونة بشكل واضح بنهج جدي دُرس طويلا في دوائر البحث الأميركية والغربية لتغيير واستلاب حالة التوازنات القائمة إقليمياً ودولياً في منطقة تعج بالثروات المادية والبشرية، في دول لا تملك التحالفات المطلوبة أو الفاعلة لمجابهة كل ما يرسم لها من مخططات مدمرة وتتميز اغلبها بهشاشة وتبعية مزمنة في أنظمتها وهياكلها الاقتصادية والسياسية مما يجعلها في مواقف ضعف وابتزاز ضمن عالم أضحى متوحشا بصورة لا تطاق، الأمر الذي يفرض أموراً أكبر بكثير من ما تتنادى له العديد من دول المنطقةمن مؤتمرات وقمم تؤجل أو تعقد، لا فرق، ووسط خلافات لا تنتهي أو لجان وهياكل ومؤسسات مهترئة هي في نهاية المطاف عناوين عريضة لعجز مريع أبقانا ويبقينا دولاً وشعوباً في مرمى سهام الطامعين في ثرواتنا وخيراتنا بقلة حيلة وانكشاف وضعف رغم ما نمتلكه من مقومات كبرى يمكن أن تجعلنا قوى مؤثرة عالميا لو أحسنا التصرف قليلا!

تلك هي بعض المؤشرات والقرارات التي اتخذها حاكم البيت الأبيض الجديد القديم بكل ما عرف عنه من نرجسية وعجرفة سياسية يحسد عليها خلال أقل من ثلاثين يوماً من تنصيبه، محولا السياسة الدولية والقانون الدولي إلى قانون الغاب كما عبرت عن ذلك صحيفة الجارديان البريطانية في احدى افتتاحياتها مؤخراً!

هكذا إذا تنحدر الأمم والدول الكبرى بشكل متسارع بفعل نهج الهيمنة والغلو اليميني نحو هاوية السقوط المدوي عبر انفلات وعجرفة فاشية، في ظل عالم أضحى يختمر بالكثير من الاحتمالات والسيناريوهات المؤجلة، التي حتما ستقود العالم بأسره نحو أوضاع صعبة للغاية وحروب كبرى لا سبيل لإيقافها إلا عبر الإذعان لمراجعات عالمية حصيفة وعاجلة إنقاذا لعالمنا من كل هذا الجنون والتوحش الامبريالي ومخاطره المحدقة بالبشرية جمعاء.

كـولـونيـاليـة تـرامـب العقـاريـة

قد تعوز مصطلح «الكولونيالية العقارية" الوارد في العنوان الدقّة، وقد يجادل أهل الاقتصاد والسياسة في أمره، فيقول قائلهم: لا يوجد مثل هذا النوع من الكولونيالية في مفهومها الكلاسيكي، وإنّها (الكولونيالية) أوسع من ذلك وأشمل.
ورغم وجاهة هذا كله وجدناها وصفاً مناسباً للدعوة الشريرة، المتهوّرة، لدونالد ترامب بتملّك أميركا غزّة وتحويلها منطقة سياحية على البحر الأبيض المتوسّط.

ترامب رجل أعمال أكثر من كونه سياسياً، ولكن بتحديد نوع رأس المال الذي يستثمر فيه، أي في مجال العقارات، يمكن اليوم القول إنّ دعوته هذه تعبّر عن ذهنية مستثمر عقاري محكوم بذهنية تعظيم استثماراته، لا بذهنية رجل يقود الدولة الأعظم في العالم، كما تحرص على وصف نفسها والتباهي به، ونتفق مع القائلين بأنّ نهج ترامب في السنوات الأربع المقبلة، مدّة ولايته الثانية، إذا استمرّ على ما هو عليه، قد يُعجل بتدهور القوّة الأميركية إلى مراتب أدنى، وربما قاد هذا النهج العالم كله إلى كوارث غير مسبوقة.

هذا التفكير المتهور ليس ابن الساعة، بل سابقٌ، بسنوات، للسابع من أكتوبر وتداعياته، وسبق أن وصف جاريد كوشنر، زوج ابنة ترامب، إيفانكا، الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي بأنه "نزاع عقاري"، وذلك في فترة ولاية ترامب الأولى. وبالنظر إلى أنّ كوشنر كان، يومذاك، مقرّباً من والد زوجته، فعلينا فهم أنّ لدعوة ترامب اليوم إلى تملك غزّة جذوراً، وعليها يصحّ وصف الباحث اللبناني فواز طرابلسي بأنّها "تخييل هوليوودي يمارسه مُضارب عقاري عنصري يتولى رئاسة الإمبراطورية الاميركية في العصر النيوليبرالي المتأخر، وصيغة منمطة من فكر وممارسة "رأسمالية الكوارث" التي ترى في دمار الحروب مناسبات للاستحواذ على الأرض بأبخس الأسعار لممارسة المضاربات العقارية».

لم يفارق كرسي البيت الأبيض خيال ترامب طوال السنوات الأربع الماضية، حتى إنّه، قبل أن يعود رئيساً، طلب من نجّار ماهر أن يصنع له مكتباً مشابهاً للمكتب البيضاوي وبالمواصفات نفسها، وضعه في مقر إقامته في فلوريدا، وما إن أسند ظهره، قبل أسابيع قليلة، إلى الكرسي الأصل في واشنطن، حتى أعاد، بجرّة قلم، قرارات سبق له اتخاذ معظمها في ولايته الأولى: الانسحاب من كل المنظمات والاتفاقات الدولية ذات الصلة بالبعد الإنساني: اتفاقية المناخ، مجلس حقوق الإنسان الدولي، "أونروا"، منظمة الصحة العالمية، وتوّج ذلك بفرض عقوبات على المحكمة الجنائية الدولية، لا لشيء سوى أنّها أصدرت أمراً بالقبض على حليفه نتنياهو. وببعض التمعن في مغزى كل هذه القرارات، نراها تنطلق من ذهنية مستثمر عقاري يهمّه عدم صرف الأموال إلا في ما يعود عليه بالنفع المباشر، لا من ذهنية رجل السياسة المعني بصورة بلاده في الأوساط الدولية، خصوصاً تلك الأقرب إليها في طبيعة النظام السياسي – الاجتماعي، ونعني هنا خصوصاً أوروبا، وهي صورة لا يأبه لها ترامب، لكونه نسخة فجّة من النيوليبرالية التي تسيّدت المشهد الرأسمالي في العقود الماضية، مسببة كوارث كثيرة، والمؤكد أن الآتي من هذه الكوارث أعظم.

لا يمكن إغفال وجه التناقض البيّن بين شعار ترامب "أميركا أولاً" والنزعة الكولونيالية الجديدة التي بات يفصح عنها، حدّ التطاول على الحقائق الجغرافية، مثل تغيير اسم خليج المكسيك إلى "خليج أميركا"، ومطالبته بضمّ قناة بنما وغرينلاند، وتهديداته كندا. وفي سياق هذه الكولونيالية، تأتي دعوته إلى بسط السيطرة الأميركية على قطاع غزّة، وتهجير أهلها الذين يفوق عددهم المليونين نسمة. واللافت أن دعوته إلى استملاك غزّة لن تتطلّب أن تطأ الأرض قدم جندي أميركي، ما يعني تفاهمه مع اليمين العنصري الحاكم في إسرائيل بزعامة نتنياهو، على أن يتولى هذا اليمين استكمال حرب الإبادة الجماعية المستمرّة في غزّة، وتدمير ما تبقى من مستلزمات الحياة فيها، ليتسلمها ترامب، لكونها الغنيمة التي على إسرائيل أن تقدّمها إلى واشنطن مقابل الأموال والأسلحة الأميركية الفتّاكة التي قُدّمت إلى تل أبيب لترتكب كل ما ارتكبت من جرائم في غزّة وكامل فلسطين، فضلاً عن تأمين الغطاء السياسي لكل هذا الإجرام.

ح.م

العرب أيضا يستطيعون قول: لا

الى قادة أمتنا العربية، من المحيط الى الخليج..نشد على أياديكم ونناشدكم بالتمسك بمواقفكم القومية الرافضة لطلب الرئيس الأمريكي ترامب ترحيل شعبنا الفلسطيني العظيم من أرضه في غزة الباسلة، الى سيناء المصرية والمملكة الأردنية الهاشمية.
تحصنوا وتسلحوا بشعوبكم التي ستقف وقفة بطولية تضحي فيها بالغالي والنفيس دفاعاً عن شرف وكرامة وهيبة وتاريخ وحضارة أمتنا المجيدة.
افعلوا كما فعل رئيس كولومبيا غوستافو بيترو، وكما فعلت بنما وكندا، وكما فعلت الدانمارك التي أصدرت التراخيص اللازمة لشركة غازبروم أيه جي (Gazprom AG) المسؤولة عن إدارة خط أنابيب نورد ستريم، لاصلاح الأعطال التي أحدثها التفجير الارهابي لأنابيب نقل الغاز الروسي الى أوروبا الذي حدث في ٢٦ سبتمبر ٢٠٢٢، وذلك رداً على مطالبة ترامب للدانمارك بالموافقة على ضم جرين لاند للولايات المتحدة.

د. محمد الصياد

على العرب أن يحدو حدو بلدان الجنوب العالمي وأوروبا والصين وروسيا بعدم تقديم أي تنازل للرئيس الأمريكي

الصين أيضا ستفرض عقوبات مضادة ضد الشركات والسلع الأمريكية رداً على ضرائب ترامب على صادرات السلع الصينية الى أمريكا، وكذلك ستفعل المكسيك، وأي دولة من الدول المؤسسة لتكتل "BRICS" يشملها ترامب بعقوباته انتقاما لتفضيلها استخدام عملاتها الوطنية بدلاً من الدولار الأمريكي.

ما من دولة مستعدة حتى الآن للخضوع لابتزازات واملاءات ترامب. وهذا أدعى لأن نحدو نحن في عالمنا العربي حدو بلدان الجنوب العالمي وأوروبا والصين وروسيا، بعدم تقديم أي تنازل للرئيس الأمريكي الذي أوهمته نرجسيته بأن العالم سوف يأتمر بأمرته ويستجيب لكل طلباته.

يجب افهام ترامب وأعضاء فريق إدارته المتصهينين، أن المباراة لم تنتهِ، لأن الحكم لم يُطلق صافرة النهاية بعدَ، وإن هذه الأمة لم ولن تتخلى أبداً عن فلسطين وشعب فلسطين، من دون اكتراث لمن يحكم في واشنطن. فلدينا أوراق قوة تفوق بكثير ما لدى كولومبيا وبنما على سبيل المثال، تؤهلنا لأن نقف ونقول لا في وجه ترامب المتغطرس.

في يناير 1991، نشر عمدة طوكيو الراحل شينتارو إيشيهارا (Shintaro Ishihara) الذي توفى في 2022، كتابا بعنوان "اليابان التي تستطيع أن تقول لا" (The JAPAN THAT CAN SAY NO). لقد أرادت هذه الشخصية الوطنية اليابانية، من خلال سرد وقائع وحقائق بالغة الأهمية لجهة أوراق القوة التي تحوزها اليابان، أن يقول للنخبة اليابانية الحاكمة، أن لا تخشى ولا تخضع لمشيئة أمريكا، فبيَدها أوراق قوة استثنائية تؤهلها لنطَق كلمة "لا" كبيرة في وجه واشنطن.

لكن النخبة اليابانية التي نصّبتها واشنطن في الحكم بعد احتلالها لليابان في أعقاب قصفها بالقنابل الذرية في 1945، لم تشأ الأخذ بنصيحة إيشيهارا، وفضلت الاستمرار في أداء دورها الوظيفي المُسند اليها من قبل الأمريكي الذي لازال يحتل اليابان عسكريا.

بنما وكولومبيا وكندا والدانمارك وأوروبا والصين، قالتها استناداً لدعم شعوبها.

وحريٌ بنا نحن العرب أن نعلنها صريحة، قوية، غير متلعثمة. وإن الذي لا ريب فيه، أن الشعوب العربية جاهزة لاثباب اسنادها لهذا الموقف المتعلق بصميم الأمن القومي العربي من المحيط الى الخليج.

تهجير سكان غزّة وغطرسة ترامب

في خضم حرب الإبادة الإسرائيلية على فلسطين عامةً وسكان غزة خاصةً، أطلق الرئيس الأمريكي دونالد ترامب تصريحاته المثيرة للجدل بخصوص تهجير سكان غزة من أراضيهم، حيث اعتُبرت هذه التصريحات بمثابة دعم صريح للسياسات الإسرائيلية الهمجية على حساب الحقوق الفلسطينية.

تصريحات ترامب هذه أثارت موجة عارمة من الغضب والاستنكار على المستويين العربي والدولي. لأنها لم تكن فقط استفزازية وعدوانية، بل كانت أيضًا تعكس غطرسة سياسية تفتقر إلى أي اعتبار للقانون الدولي أو لحقوق الإنسان الأساسية.

لا شك أن تهجير سكان غزة قسرًا من أراضيهم هو انتهاك صارخ للقانون الدولي، وخاصةً اتفاقيات جنيف التي تحظر عمليات التهجير القسري للسكان المدنيين في أوقات النزاع.

قطاع غزة، الذي يعاني بالفعل من حصار خانق منذ سنوات، يعد من أكثر المناطق كثافة سكانية في العالم، حيث يعيش أكثر من مليوني فلسطيني في ظروف إنسانية صعبة للغاية. وأي محاولة لتهجير سكان غزة ستكون بمثابة جريمة حرب، ولن تؤدي إلا إلى تفاقم الأوضاع الإنسانية في المنطقة. ومثل هذه الأفكار لا تعكس فقط تجاهلًا تامًا لحقوق الفلسطينيين، بل أيضًا استهتارًا بالاستقرار الإقليمي والدولي.

في الواقع إن المخطط الذي يريد دونالد ترامب تنفيذه في غزة والذي يتعلق بتهجير سكان القطاع إلى دول عربية مجاورة، مثل الأردن ومصر، وتحويله إلى "ريفييرا الشرق" يصطدم بالعديد من العوائق والحواجز التي طرحها العديد من الخبراء والمختصين في سياسات الشرق الأوسط. لعل أبرز هذه العوائق تتمثل في تشبث الفلسطينيين بأرضهم، وفي رفض الدول العربية لمشروع ترامب.

إن تصريح ترامب بشأن تهجير سكان غزة يعكس فكرًا استعماريًا يحاول أن يفرض واقعًا جديدًا على دول أخرى بالقوة في انتهاك للقانون الدولي. وهو ما قامَ بهِ ترامب خلال عُهدتهِ الرئاسية الأولى حينما اعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل في 2018 أو عندما اعترف في 2019 بأن الجولان السوري المحتل جزء لا يتجزأ من إسرائيل.

العقلية الرأسمالية المتوحشة هي من تسيطر على تفكير ترامب ومخططاته تجاه غزة، ففي مقابلة له مع إذاعة "فوكس نيوز" أبدى استغرابًا بما وصفه بتنازل إسرائيل عن قطاع غزة في الماضي واصفًا الأمر "بالقرار العقاري السيء".

فقتل الآلاف من الأطفال والنساء والرجال وتدمير غزة بالكامل لا تعني شيئًا أمام زيادة الأرباح وتراكم الأموال.

"أنا التوحش" عند ترامب يشير إليها عالم النفس السلوكي الدنماركي هنريك تينغليف. هي لا تستند بالضرورة إلى كفاءة المعرفة عند الرجل ومؤيديه، بقدر ما تحاول تغذية انتفاخ أنا (إيغو) فردية وجماعية.

تينغليف شرّح نفسية ترامب في محاولته انتزاع غرينلاند من الدنمارك وقناة بنما وضم كندا، باعتبارها تمثل الغطرسة الجاهلة والاستعلائية التوسعية التي تتملك الرجل، الذي اختار طاقمه بعناية للمحافظة على موقعه كذكر ألفا في القطيع.

إن مقترح التهجير لا يزال في أجندة ترامب والإدارة الأمريكية، وتدعمه إسرائيل بكل قوة، لأنه يتماشى مع مخططاتها وأحلامها، ومن ثم فإن استمرار صمود الشعب الفلسطيني وثبات الموقف العربي الرافض لهذا المشروع الأمريكي الصهيوني، سيشكل حائط الصد الأول في مواجهة أية مشروعات من شأنها تصفية القضية الفلسطينية.

جلال إبراهيم

عصر ما بعد الرأسمالية

بدون أن نلاحظ ذلك، دخلنا إلى عصر ما بعد الرأسمالية، ويمكن استبدال الرأسمالية المحتضرة بـ «اقتصاد توزيع عالمي» من شأنه أن يعني سيطرة صارمة على الموارد والغذاء، فضلاً عن انخفاض عدد سكان الكوكب.

إن الأزمة العالمية الحالية ليست أزمة مجال تقني منفصل، بل هي أزمة الرأسمالية ككل، فقد استنفدت إمكاناتها ولم تعد قادرة على ضمان الحفاظ على مواقع وامتيازات النخبة الحاكمة بشكل كامل، كما يقول عالم سياسي: «لقد أصبحت الرأسمالية قديمة، ولكي يحتفظ الرأسماليون بامتيازاتهم، فهم بحاجة إلى نظام جديد تمامًا... هل من الممكن أن نقول شيئًا عن المستقبل اليوم؟ إن السيطرة على المعلومات، وعلى مجال المعلومات، والمجال النفسي ستكون سمة مميزة لمجتمع ما بعد الرأسمالية».

حسين الشويخ

وبحسب هذا العالم، فإن هناك عددًا من العوامل التي تظهر لنا اليوم ما سيحدث في المستقبل. كيف تتشكل المنطقة التي يتم فيها التحكم في المعلومات؟ أولاً وقبل كل شيء، نحن نتحدث عن تدمير التعليم، «إن تركيز التعليم النخبوي في 2٪ من المؤسسات التعليمية في الغرب، أي تدمير التعليم، الذي نجح فيه الغرب إلى حد أكبر». إن الاتجاه التالي الذي يتحرك فيه العالم نحو تعزيز السيطرة على المعلومات هو نزع العقلانية عن الوعي، وهذا يحدث بطرق متنوعة – من ألعاب الرماية إلى أفلام مثل هاري بوتر، التي تحكي عن القوة السحرية، والتي تظهر عالماً ليس ديمقراطياً على الإطلاق، ولكنه مختلف تماماً.

«وهناك اتجاه آخر يعمل على ترسيخ السيطرة على المجال النفسي وهو استبدال الدين بتعاليم غامضة مختلفة، والتي أصبحت بشكل غير متوقع رائجة. لماذا السحر أكثر إثارة للاهتمام بالنسبة لأسياد لعبة العالم؟ الحقيقة هي أنه بغض النظر عن الأديان الموجودة، فإنها تحدد بوضوح الخير والشر. وهذا ليس هو الحال مع السحر. إن إزاحة مشكلة الخير والشر هو بالتحديد ما يعمل على التحكم في الوعي»، كما اعتقد.

وبحسب هذا العالم فإن السيطرة على المجال النفسي على المدى الطويل تعني انخفاضًا خطيرًا في عدد السكان، حيث أن السيطرة على 8 مليارات شخص بهذه الطريقة أصعب بكثير من السيطرة على 2 مليار شخص على سبيل المثال. وبالإضافة إلى ذلك، سيتعين على النظام الجديد فرض رقابة صارمة على توزيع الموارد، ويعتقد العالم أن هذا قد يكون بداية عصر جديد، اقتصاد توزيع عالمي يتضمن سيطرة صارمة على الموارد والغذاء والسكان.

ومهما كانت الجهود التي يبذلها الرأسماليون في ترسيخ ثبات النظام الحالي للأشياء، فإننا نستطيع أن نرى من مثال إنجازات الاتحاد السوفييتي أن الاقتصاد المخطط الاشتراكي يتفوق على الاقتصاد البرجوازي في جميع النواحي، وهو مرحلة أكثر تقدماً في تنظيم العمل خالية من الاستغلال، ويقودها أفضل ممثلي البروليتاريا، تسعى جاهدة لتوفير تعليم لائق لكل عضو في المجتمع، لأنه في ظل الاشتراكية، يعطى التعليم أحد الأماكن الرئيسية، وهو ما تم تأكيده مرارا وتكرارا من خلال التطور العلمي السريع.

من الممكن أن تكون الرأسمالية قد كشفت الآن عن وجهها الحقيقي، كما يعتقد الصحافي الألماني جينز جيسن، ويرى الكثيرون أن عام 1989 كان بمثابة نقطة تحول، عندما فقدت الرأسمالية خصمها الأيديولوجي. إن وجود النظام الاشتراكي لعقود من الزمن أجبر الغرب على الظهور بمظهر إنساني لطيف. ولكن يمكننا أن نقول أيضاً إن الرأسمالية ارتدت قناعاً جديداً شرساً، وهذا لم يحدث في عام 1989، بل بعد عام 2000، عندما انهار ما يسمى «الاقتصاد الجديد»، وتم الهجوم على مركز التجارة العالمية في نيويورك. أي في اللحظة التي أصبح من الواضح فيها أن النظام الرأسمالي قد ينهار في وقت ما، وأن الرأسمالية لديها أعداء داخليون وخارجيون. وهذه ليست بأي حال من الأحوال الحالة الأولى في تاريخ العالم عندما يصبح النظام الإمبراطوري، في مواجهة تهديد لوجوده، غاضبًا وخطيرًا على البشرية المتحضرة بأكملها.

وكما نعتقد فإن الخطة العالمية الجديدة «خلف الكواليس» تتضمن فرض رقابة صارمة على الموارد والغذاء، فضلاً عن تقليص عدد سكان الكوكب. فالأزمة الحالية ليست أزمة مجال تقني معين، بل هي أزمة خطيرة للرأسمالية ككل، ولكي يتمكن الرأسماليون من الاحتفاظ بامتيازاتهم، فإنهم يحتاجون إلى نظام جديد كليا يضمن السيطرة على المعلومات والمجال النفسي. إن الاتجاه الرئيسي الذي يتجه إليه العالم نحو تعزيز السيطرة على المعلومات هو إزالة العقلانية عن الوعي. ما يلي هو تدمير العلوم الأساسية وإدخال مواضيع علمية زائفة ثانوية إلى التداول الجماهيري.

النزعات البشرية في التطور العلمي الحديث

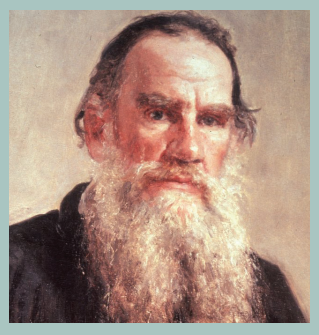

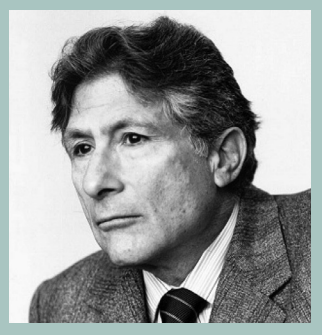

لطالما اعتقدنا واهمين أنّ المبالغة في التطور التكنولجي أمر محمود وأنه في مصلحة رفاه الإنسان وتسهيل شؤون عيشه وصحته، كنا نظن أن الإنسان الصانع الحديث (من يحتكر الصناعة بالقوة) يصنع من أجل الإنسان الآخر، ولكننا اكتشفنا في ذهول بأن صناعاته إنما تأتي لتلبية الرغبات الشيطانية الكامنة في نفسه لتسهيل عملية إخضاع البشر والهيمنة عليهم بنشر الشر في أرجاء العالم. وبالمقارنة بما صُنِعَ من أجل الإنسان وما صُنِع لفنائه وتدميره نجد بوضوح أن الأولى أقلّ بكثير من الثانية، وقد تقلّب المفاهيم عندما يروّج هذا الصانع عبر الدعاية –وهي أحد وسائل الخداع الحديثة– أن كل مايصنعه من منتوجات إنما هي من أجل رفاه بني البشر وعلى الجميع أن يستهلكها دون أي تردد. والإنسان بطبيعة الحال يخفي في داخله الملاك والشيطان/ الخير والشر.

حسين آل ربيع

إن تطور التكنولوجيا السريع جداً هو في الأساس نتاج النفس الشيطانية بحيث يهدف الى زيادة فعالية أدوات القتل والإبادة والتدمير والخراب ناهيك عن الإستلاب الذي تمارسه المصانع ضد عمالها عبر تهديدهم المستمر باستبدالهم بالآلة الأوتوماتيكية، والعلمُ في هذا المنحى قاعدةٌ ما شذّ منها هو ذلكَ القليل الذي يصبُّ في مصلحة الإنسان واستفادَت منه البشرية ممّن وصلتهم التكنولوجيا مصحوبةً بالعولمة. أي بمعنى آخر، المصلحة التدميرية وتطوير السلاح الأكثر فتكاً –قنبلة نووية أو ذريّة أو حتى بيولوجية– هو الأولوية القصوى للعلم التجريبي المادي والصناعة النيوليبرالية الحديثة التي لاتعترف بأي ضواب أخلاقية مقابل القيمة الربحية وتراكم فائض القيمة، أما ما يصب في مصلحة النمو البشري والتنمية البيئية من رفاه وصحة، فهو أمر ثانوي جداً خاضع للاحتكار والتمييز العنصري بشروط الإمبريالية التي لم تكن متاحة لها لولا استغلال البشر وإعلاء قيَم الشر على الخير.

«كوادكابتر تلاحق الأطفال»

ومن نتائج صناعة الشر التي ينتجها الإنسان الشيطان هو ماشاهدناه في غزّة خلال عام وأكثر على الهواء مباشرة من إبادة هي الأبَشع في التاريخ الحديث. أدوات ووسائل حديثة متطورة جداً تقتل الناس بشتى الطرق دون أي ضمير أخلاقي. كوادكابتر (طائرة متوسطة الحجم أو صغيرة تُحرَّك عن بُعد على طريقة الدرون) تلاحق الأطفال في الأزقة وتدخل من نوافذ البيوت وبين خيام النازحين الأبرياء تطلق الرصاص والمواد القاتلة وتصدر أصواتاً غريبة مرعبة. هذه واحدة من أحدث وسائل القتل المطوَّرة تكنولوجياً وعلمياً يجري اختبار كفاءتها على الناس الأبرياء وهناك الآلاف منها بمختلف الأشكال والأحجام. يبقى السؤال المحيّر: الى أي مستوى سيصل الإنسان الشيطان الصانع الحديث/العاقل في صنع أدوات الشر التي قد تقضي على البيئة الطبيعية والحياة البشرية وتنشر الأمراض والدمار؟ هل ثمّةَ من سُلطة للضوابط الأخلاقية، أم أن العالم كله بحجره وبشره وكائناته الحيّة خاضعٌ للتجربة العلمية!

لا أحد يدري تماماً إلى أي حد سيصل هذا العدو المجرم الآثم في تماديه على الإنسانية وهو الذي سَخَّرَت له قوى الهيمنة العالمية كل الوسائل والأموال والدعم والغطاء حتى يستمر إلى مالانهاية في هذه المقتلة العظيمة. الآن بعد أن تعب هذا العدو الجبان من كل أنواع القتل والتدمير، يرضخ أخيراً لشروط أصحاب الحق والأرض ويوقف الآلة التكنولوجية القاتلة ويصرِّحُ قادته بالهزيمة والعار (أخزاكمُ اللهُ من بين الغزاة ** فما رأى الورى مثلكُم ولا سمعوا).

كلما تعاظمت المنظومة التكنولوجيّة الصناعية وزاد تعقيدها زادت إمكانية حدوث الثغرات من داخلها كما قال إدوارد سعيد، وكلما زادت الثغرات أمكن الإمساك برسَن ذلك الشيطان الهائج. الكوادكابتر التي تعيث فساداً تدخل أحد المنازل المهدمة، فتجد مصادفةً أسداً جريحاً يرمقها شزراً، يرتبك من يتحكم بها على بعد كيلومترات، يحدق ذلك البطل في عدسة الكاميرا، يرفع عصاه، يهزها، ثم يلقيها على الطائرة هازئاً بها، يجفل البعيد الذي يقودها تهتز الكاميرا يتقهقر بها، واهتزاز الكاميرا يشير إلى اهتزاز يد من يتحكم. ينقطع المشهد على خبر استشهاد فارس عربي مغوار هزّاً بكل أدواتهم الحديثة التي تحاول رصده دون جدوى وسطّر ملحمةً بطوليةً سيخلدها التاريخ. علّمنا هذا الفارس كما فعل غيره من السادة والقادة أن الشجاعة هي فيما تمتلكه من حق ومن بأس ومن عزم وهدف لا في الأدوات التكنولوجية الحديثة وحدها، وإنّ أشدّ أنواع الشجاعة طلب الحرية. أستطيع القول الآن أن التكنولوجيا الحديثة لم تكن بخدمة الإنسان بقدر ماهي في خدمة الشيطان.

«تولستوي وبروميثيوس»

يختلف ليو تولستوي الفيلسوف والراوئي الروسي مع التصور الغربي للإبداع العلمي المنتج للتكنولوجيا والصناعة. يرى تولستوي أن الإنسان حتى يصل للنقاء العرفاني عليه أن يعيش حياة بسيطة بالتناغم التام مع الطبيعة واستلهام روحانية الدين فيه، عندها ستتكشف للإنسان مكامن قوته الإبداعية وإذا عمل على تطويرها بجدّ سيصل إلى مرحلة الترقي الروحي وبالتالي الإبداع المنتج لمعرفة علمية تكون من صميم الجوهر الإنساني والطبيعي (الطبيعة بكل مافيها من كائنات). وبحسب فلسفة تولستوي؛ يتمكن أي إنسان عاقل من استكشاف شعلة الإبداع في نفسه والتي تكون في الغالب خافتةً أو مكبوتة لن يدركها بوضوح إلا إذا ترقى أخلاقياً ثم يحاول الترقي في العلوم المادية، أي أن الإبداع ناتج للترقي الروحي الأخلاقي أولاً. وقد يعيش الإنسان حياةً كاملة دون أن يستكشف تلك الشعلة الكامنة فيه أو يسكشفها في وقت مبكر. إن هذه الطاقة المعرفية الأخلاقية التي تتشكل من عوامل عدة أهمها محبة الخالق والتناغم مع الطبيعة والمبدأ الأخلاقي تُنتج موهبةً إبداعية خيّرةً بالضرورة. وتظهرُ في أشكال إبداعية معرفية إنسانية متنوعة يبرز فيها الجانب الجمالي والطبيعي؛ كنصّ أدبي مثلاً أو فن أو موسيقى أو علم يخدم الإنسان لا يضره و يفنيه مثل عجلة تدفّعها طاقة النهر لتولد الكهرباء...الخ، أو عمل أخلاقي يساهم فيه البشر في مساعدة بعضهم.

اشتبك مفكرو الغرب مع فكرة تولستوي التي ترى مصلحة الإنسان والطبيعة فوق كل طموح وأن الإبداع لابد أن يكون خيّراً نابعاً من ذات الإنسان الخيّرة وتأتي بالتدريج والترقي. بينما يؤمن المفكرون في الغرب بعد الثورة الصناعية بتصور يختلف تماماً مع تولستوي، حيث أن إرادة الإنسان نفسها هي مايجب أن يتسيّد المعرفة ولا إرادة أخرى غيرها حاكمة عليها وهي تسير وفق محددين أساسيين: إرادة القوة النيتشوية وحتمية التطور الداروينية أو ما يعرف بالداروينية الحديثة، وهما محددان لايعتبران الأخلاق شيءً ضرورياً. في الحالة هذه ليس من المهم أن تدخل في علاقة مع الخالق أو مع النفس لستلهم من ذاتك الطاقة الإبداعية (من الداخل الى الخارج) بل الإنسان وحده فقط من يصنع إرادته وفق ما يشاء وكيفما يشاء (من الخارج الى الداخل)، إذن فالإنسان والحال هذه ليس بحاجة إلى التناغم مع الطبيعة بل الإستحواذ عليها ولا إرادة فوق إرادته، يعني بإمكانه أن يستحوذ على كل شيء بالطريقة التي هو يريد، هنا يتعاظم الطموح والقوة والإرادة فيحل الإنسان محلَّ الإله، تتضخم الأنا وتبرز قوة الشرّ الكامنة فيه، فلا يُنتِجُ موهبةً خيّرة بالضرورة، أو كما يقال سالبة بانتفاء الموضوع.

تعدّ أسطورة بروميثيوس في المثيولوجيا الإغريقية بمثابة الفكرة الملهمة للتصور الغربي، تقول الأسطورة: إن بروميثيوس سرق شعلة النار من الآلهة الذين كانوا يحتكرونها وأعطاها الإنسان، وشعلة النار ترمز إلى الحرية والإرادة. عندها استطاع الإنسان أن يكتشف أداة الخلق الإبداعية واستحوذ عليها ثم أخضعها لإرادته، الأمر الذي مكّنه من التطور والصناعة والإبتكار اللامحدود وغير المضبوط بأي ضابط، حينها لم يعُد أسيراً خاضعاً تحت رحمة الآلهة المتغطرسين.

ما الذي فعله الإنسان الغربي البروميثيوسي عندما استحوذ على شعلة المعرفة وأخضع الطبيعة لسُلطته وإرادة القوة لديه؟! جعل العلمَ وسيلةً لغاياته وأطماعه وهوسه في السيطرة على البشر والحجر، اكتشف أشياء مهمة طوّرت حياة الناس وجعلته أكثر رفاهاً من جهة وأكثر استبداداً من جهة أخرى، إلا أنه بإبعاده للجوانب الأخلاقية وللضّمير الإنساني وعندما ظن أنه استحوذ على الطبيعة يحاول السيطرةَ بغطرسة على أعظم طاقة في الكون: الطاقة النووية، دون أن يدرك تمام الإدراك مغبّةَ العبث مع طاقة لو فلتت منه ستؤدي إلى فناء الحضارة البشرية برُمَّتها، ناهيك عن محاولاته ابتكار أسلحة بيولوجية عن طريق تطوير أصناف جديدة من البكتيريا والفيروسات مما قد يؤدي أيضاً الى اعطاب البشرية لو حدثَ خللٌ ما.

الإنسان هو الشيطان هو الشر إذا لم يترق على المستوى الروحي والأخلاقي، إذا لم يغلّب المحبة إذا لم يتناغم مع الطبيعة إذا لم يحرر نفسه من غرائز الإستبداد الشيطانية وهوس الهيمنة والتدمير، إذا لم يكبح جماح غطرسة الفكرة القائمة على الإرادة البشرية المُطلَقة، والعلم بكل طاقاته ومدياته وآفاقه ليس سوى وسيلة لكل تلك النزعات البشرية خيّرها وشرّها.

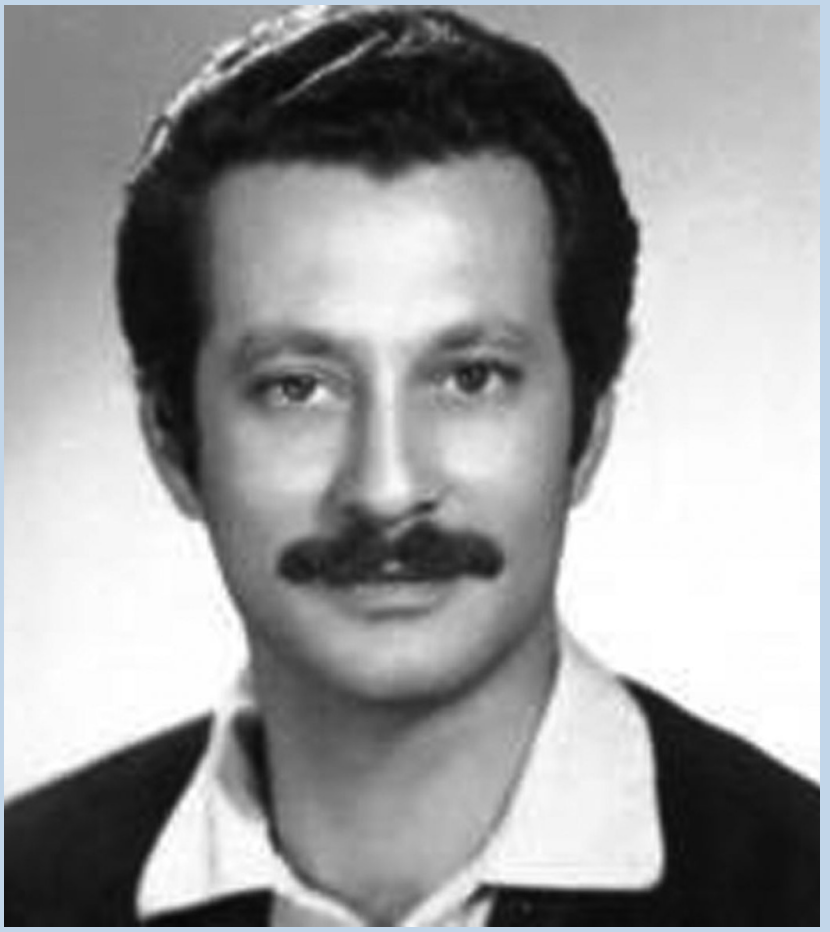

غسان كنفاني

كنفاني مع والديه

ومضات من قصص غسان كنفاني في الخمسينات

محمد ديتو

بعد رحلة قطعت فيها مئات الكيلومترات في لهيب الصحراء، حطت قوافل الجمال رحالها في ساحة الصفاة بالكويت، وعلى الرغم من شدّة هبوب الغبار على الطريق الترابي المؤدي الى متجر «جاشنمال» بوسط الساحة، إلا أن ذلك لم يمنع الزبائن على إختلاف هوياتهم، من إرتياد المحل لشراء المأكولات المعلبة، والأدوية، والأدوات المكتبية، والجرامافونات وإسطواناتها. ركن الاسطوانات بالتحديد هو ما جذب آنذاك المدرس الشاب غسان كنفاني لزيارة المتجر بانتظام.

كان في مطلع العشرينات من عمره حين إلتحق بسلك التدريس بالكويت في سبتمبر 1955 (سبقته للعمل هناك شقيقته الكبرى فايزة في بداية الخمسينات). في " جاشنمال" تعرف غسان على بائع هندي كان يتولى بيع الاسطوانات، ويرشد الزبائن إلى أحدث الإصدارات. مع الأيام انعقدت أواصر صداقة بين الإثنين. دعاه غسان لزيارته في سكن المدرسين للحوار في شؤون الثقافة والموسيقى، وبدأ هذا البائع الهندي الشاب يحضر لغسان مجلات أدبية هندية، وكانا يقرآن معا بعضه. في إحدى الزيارات أحضر له مجلة وعلى غلافها صورة كبيرة لبومة. قصّ غسان صورة البومة الهندية وعلقها في غرفته، وبعد فترة كتب من وحيها قصته القصيرة "البومة في غرفة بعيدة"، وهي باعتقادي إحدى أجمل قصص "الحقبة الكويتية" في أدب كنفاني (كتبها في عام 1958). تكثف القصة، وبصورة مبكرة، تلازم ثلاث خصال مهمة في شخصية كنفاني: الفنان الرسام، و كاتب القصة، والثائر. المدخل الذي سيختاره غسان لقصته مثير: «صورة ملونة لبومة مبتلة بماء المطر..وتكمن كل روعتها في لحظة اللقطة الموفقة، وفي براعة الزاوية...وأهم من هذا كله: في اصطياد النظرة الحقيقية للبومة المختبئة في ظلمة ليل بلا قمر.» غسان مولع بفن الرسم، ولكنه استعان هنا بدقة اللقطة الفوتغرافية للبومة ليقول لنا إن رأسها يشبه «شكلاً رمزياً لقلب مفلطح بعض الشيء»، و»في العينين غضب وحشي، وكانت النظرة – رغم ذلك – تحتوي خوفاً يائساً مشوباً بتحفز بطولي وتشبه إالى حد بعيد نظرة إنسان خضع فجأة للحظةٍ ما، عليه أن يختار فيها بين أن يموت، أو أن يهرب».

نظرة البومة ستفتح جرح الذاكرة على حدث جرى قبل عشر سنوات (أي في عام 1948). في القصة استحضر غسان ذاكرة النكبة بعيون طفل. «كنتُ طفلاً آنذاك، وكنا نشهد، دون أن نقدر على الإختيار، كيف كانت تتساقط فلسطين شبراً شبراً، وكيف كنا نتراجع شبراً شبراً.» سيطلب أحد العجائز من الطفل أن يخبئ صندوق به قنابل تحت شجرة تين كبيرة في الحديقة، وهناك وسط الظلام سيسمع صوت صيحة حادة في أعلى الشجرة: « شاهدتها، على ضوء اللهب المتصاعد في سماء قريتنا، تقف هناك وتحدق إلي بعينين واسعتين غاضبتين ....كان منقارها معقوفاً كمنجل

أسود ...ورأسها الكبير كصورة قلب رمزي ...كان ريشها مبتلاً بماء المطر ..وكان يومض في عيونها ذلك الغضب المشوب بخوف غريب.. كانت لا تزال تحرك رأسها المفلطح بتحذير إنساني عميق، وعلى إيماضة قنبلة بعيدة، شاهدت في عينها ذلك التحدي الباسل».

وهكذا من لقاءٍ يؤدي إلى صداقة، إلى إعجاب بصورة في مجلة، إلى قصةٍ قصيرة تكشف ذاكرة طفل لنكبة 1948، يمكن لقارئ كنفاني أن يستشف بعض من سياقات كتابته لقصصه القصيرة خلال الحقبة الكويتية /الدمشقية، والتي بلغت حوالي ستة وعشرين قصة كتبها خلال الفترة من 1956 إلى 1960، وربما سيكون العدد أكبر، إذا أخذنا باعتبارنا أن هناك قصصا نشرها منتصف الستينات في بيروت ولكنها مستوحاة من واقع حياته بالكويت ودمشق.

على الرغم من أن المعلومات عن الظروف التي كتب فيها كنفاني قصصه بالكويت شحيحة، إلا ما ذكره صديقه المقرب بلال الحسن (في مقال نشره في جريدة السفير عام 1997) تشير إلى أن كتابة غسان للقصص كانت تعكس تفاعله مع محيطه الاجتماعي، سواء بالكويت، أو في دمشق حين كان يقضي إجازاته السنوية الصيفية مع الأهل. لنأخذ مثلا ما يذكره بلال عن علاقة غسان بحارس سكن المدرسين. كان هذا الحارس البدوي كبيراً بالعمر، ويقضي جل وقته جالساً على دكة خشبية يراقب الخارجين والقادمين من البناية. أثار هذا الرجل فضول غسان، الذي بذل محاولات لكسب صداقته، وكان الوحيد الذي يجلس معه ويتحدث إليه. ما أثار إهتمام كنفاني على وجه الخصوص كانت الحكايات التي سردها ذلك الرجل، والتي استلهم منها مواضيع بعض قصصه القصيرة، مثل قصة «الصقر» التي ختمها بتلك الجملة الشهيرة: «الغزلان تحبّ أن تموت عند أهلها...الصقور لا يهمها أين تموت!». هناك قصة أخرى بعنوان «الخراف المصلوبة» تحكي عن راعي أغنام بدوي في طريق صحراوي يرجو العابرين أن يمنحوه ماءاً ليسقي خرافه التسعة التي ستهلك من العطش. تمّ رفض طلبه من قبل سائق السيارة التي تقل الركاب، معللاً سبب الرفض بحاجة السيارة إلى الماء في الطريق الصحراوي الحار. غسان يقابل بين عطش «الخراف التسعة الهزيلة، مع أولوية إحتياج السيارة للماء ، بين مشاعر الراعي الخائف على موت خرافه، وعقلانية السائق (الذي يعرض الماء للراعي فقط ولكن ليس للخراف) . هناك معضلة أخلاقية كامنة في ثنايا هذه القصة: نعطي الماء للخراف كي لا تهلك؟ أم نحتفظ بها للسيارة حتى لانهلك نحن؟. القصة تشير إلى صراع التقاليد مع الحداثة، وهي مسألة إكتسبت أهمية بالغة خاصة في كويت الخمسينات. كنفاني لا يعطي إجابات بقدر ما يدفع القارئ للتفكير في الإشكالية.

على الرغم من أن غسان أمضى خمس سنوات في الكويت إلا أنه لم يكتب عن الكويتيين في أي من قصصه، بل كان مهتما بالتركيز على مواضيع ذات صلة بحياة الفلسطينيين هناك، منها على سبيل المثال لا الحصر، تحدي كسب الرزق، ومخاطر اللهث وراء تكديس الثروة. في قصة «اللؤلؤ في الطريق» التي كتبها في الكويت 1958، تطرّق كنفاني إلى حالة الهوس المرضي في السعي لإكتناز المال. ثيمة المخاطر المتصلة بالبحث عن الثروة عبر الهجرة ، ستجد تجلياتها القصوى لاحقاً في رواية كنفاني «رجال تحت الشمس» التي ترجع جذور كتابتها الى نشر الصحف آنذاك عن خبر العثور على جثث عدد من

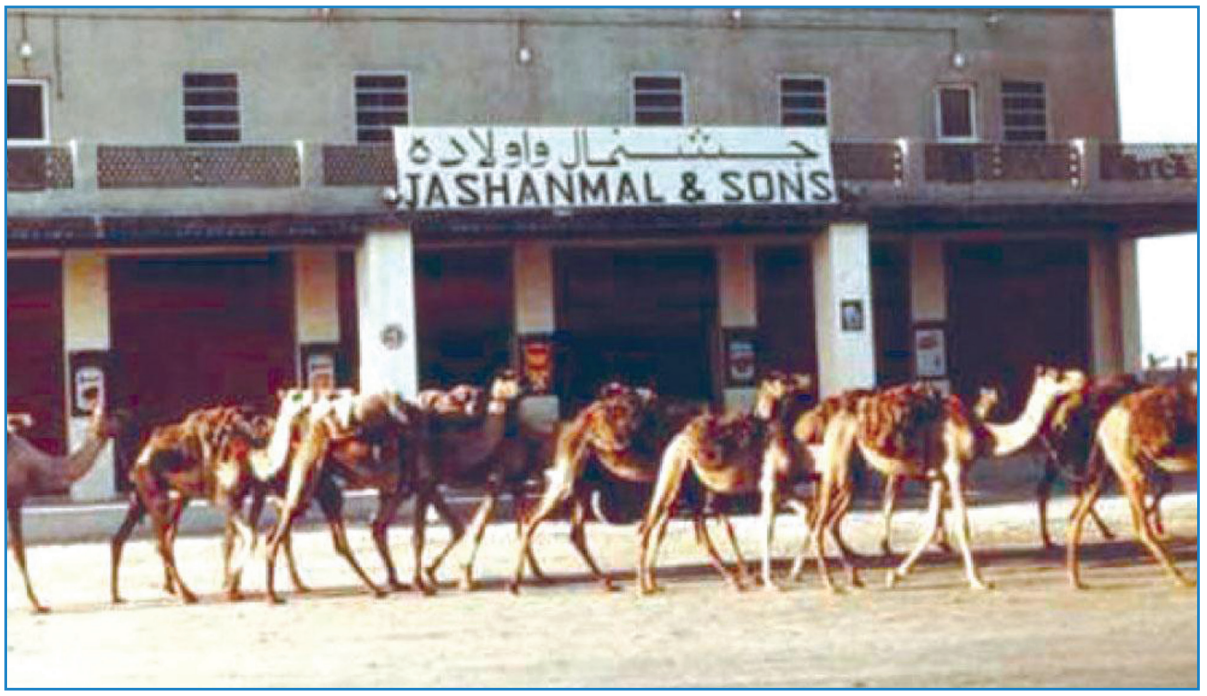

محلات جاشنمال في الكويت بالخمسينات

العمال عند مكب نفايات المدينة، وقيل أنهم ماتوا داخل خزان سيارة نقلتهم ليعبروا الحدود تهريباً. أثرت تلك الحادثة عميقا في كنفاني، ودفعته للتفكير في كتابة روايته المذكورة التي أنجزها في شهر واحد في بيروت لاحقا.

أواخر الخمسينات أصيب غسان بمرض السكري، وانتابته نوبة هبوط حادة بالسكر أدت الى اقامته لمدة اسبوع في المستشفى الأميري بالكويت، حيث استوحي قصته الشهيرة «موت سرير رقم 12» من حالة أحد المرضى المقيمين معه في الجناح. أما قصة «في جنازتي» فقد عكست حالة الصدمة النفسية التي ألمت بكنفاني في بداية مرحلة إصابته بالسكر آنذاك، والتي سرعان ما تجاوزها ليعتاد التعايش مع المرض إلى درجة نسيانه.

في دمشق، كانت غالبية القصص التي كتبها ذات مواضيع تتصل بذاكرة النكبة ومعاناة اللاجئين، وبدايات العمل الفدائي آنذاك. يمكن اعتبار قصة «قرار موجز» أحد أجمل ما كتبه يومها، حيث نرى كنفاني يصيغ مقولات فلسفية على لسان الفدائي عبدالجبار، الذي اعتاد رفاق المتراس أن يلقبوه بالفيلسوف، ووجدوا «في فلسفته منطقاً صالحاً لتبرير الأمور التي تحدث»، حسب تعبير كنفاني. ستتبلور في سياق القصة ثمان إطروحات فلسفية موجزة توصل إليها تفكير عبدالجبار: «طالما أن الإنسان دفع ليعيش دون أن يؤخذ رأيه بذلك. فلماذا لا يختار هو نهايته (الإطروحة الأولى). أما الإطروحة الثانية فستكون «اختيار طريقة مشرفة للموت». كل موقف، أو حادث يتعرض له عبدالجبار سيدفعه إلى إستخلاص فكرة فلسفية موجزة منه: «ليس المهم أن يموت الإنسان حتى يحقق فكرته النبيلة... بل المهم أن يجد لنفسه فكرة نبيلة قبل أن يموت...»، هكذا نقرأ في إطروحته الثالثة. عبدالجبار دائم التطوير لفلسفته «بعد كل قتيل، كانت الفلسفة تتطور وتتغير...ففي ليلة مظلمة مات فلاح أميّ... فكر عبدالجبار بكلمة تصلح لتأبين الشهيد. فإذا بالكلمة تصبح قراره الموجز الجديد (الاطروحة الرابعة): «إن الفكرة النبيلة لا تحتاج غالبا للفهم... بل تحتاج للإحساس!». أما أطروحته الخامسة فقد استخلصها بعد استشهاد أحد رفاقه في معركة بقوله: «إن الشجاعة هي مقياس الإخلاص»، أما حين تعرض عبدالجبار نفسه للسجن والتعذيب، فقد طوّر أطروحته السادسة وهو تحت الضرب: «إن ضرب السجين هو تعبير مغرور عن الخوف». وحين حاول سجانوه إجباره على خيانة رفاقه فإن ذلك كان مدعاة لبلورة إطروحته السابعة «إن الخيانة في حدّ ذاتها ميتة حقيرة». ستدور معركة بين رفاقه وسجانيه في ختام القصة، وبصعوبة جمّة سمع أحدهم صوت عبدالجبار يملي قراره الموجز الأخير (الأطروحة الثامنة): «ليس المهم أن يموت أحدنا. المهم أن تستمروا !»، ثم مات!

يمكن اعتبار قصة «الأرجوحة» كخاتمة لمرحلة الكويت/ دمشق، إذ نميل إلى قراءتها كدلالة رمزية لحالة التنازع بين الإلتزام السياسي (المعبر عنه في القصة بالرغبة من الزواج بغيداء) مقابل الشغف بالأدب (والمعبر عنه كحالة عشق سابقة مع ندى). القصة على وزن مقولة شهيرة لتشيخوف (الطب زوجتي، والأدب عشيقتي). زوجة المستقبل غيداء (الإلتزام السياسي) صارمة وحازمة وذات مشاعر حادة وتبدي جفافاً في مشاعرها تجاه سارد القصة الذي يسعى لمصارحتها بعشقه السابق لندى (الأدب). تغضب غيداء بحدّة وتقابل صراحته بالتهكم والسخرية اللاذعة وتغادر المكان بعصبية. في المقابل عندما حاول مصارحة عشيقته ندى عن نيته بالزواج من غيداء ورغبته في قطع العلاقة معها، يفاجأ بأنها قابلت صراحته تلك على أساس أنها دعابة وكذبة طريفة، وتعاملت معه بغنج ودلال. لخصّ غسان كنفاني معضلته بذكاء وأسلوب لا يخلو من الطرافة. لا عجب أنه كتب تلك القصة الطريفة في عام 1960، وهو نفس العام الذي غادر فيه الكويت نهائيا وتفرّغ للعمل السياسي في بيروت.

■ آثر المخرج ألا ينهي «دق خشوم» بطريقة مأساوية على نهج ماروشا، وأرتأى أن يلعب بالدمى التي تقتل مكان الحبيبين، حتى يشعل الآخرين بالذنب الذي ارتكبوه

هـــل الفتنـــة صـــــدفـــة؟

عـــن قضيـــة الأنـــــوف المستمـــرة

د. زهراء المنصور

«هناك مكان للجميع في العالم.. أتفهمون؟»

كتبت المؤلفة المكسيكية «ماروشا بيلالتا» هذه الجملة على لسان «ليو» الذي آمن بهذا المتسع دون تحزب، لكنه دفع حياته مقابل هذه القناعة التي يراها المتعصبون من الطرفين مياعة لا تتناسب مع الوضع، فإن كنت هذا الشخص، توجب عليك تحديد موقفك بوضوح مع الإلمام بالمصير المنتظر: الموت أو قيادة الآخرين المنصاعين بلا محاذير!

وشخصية ليو في نص «قضية أنوف» ليست فريدة لأن هناك الكثيرين غيره، لكن ظهورهم صعب أو كلمتهم غير مرئية، مقابل المنقادين إلى الكراهية التي يرون فيها متنفسًا جيدًا عن مشاعر سلبية أخرى، فهي منطقة راحة مقارنة بتعب التفكير في منافذ أو حلول تعيد ترتيب الأمور المرتبكة. ولأن النص حيوي وذو قضية حاضرة رغم مرور وقت على كتابته، إلا أن أحداثه تمكن أي مخرج من تحميله النسخة التي تناسب مجتمع تقديمه، لذلك توجد نسخ عربية عدة لقضية الأنوف هذه.

قام المخرج عبد الله المهيري باقتباس فكرة النص وإعادة كتابته بنفس محلي وباللهجة الإماراتية وبمفرداتها المحلية، وعنونه بـ"دق خشوم" وهو تعبير شعبي في منطقة الخليج وبعض الدول العربية، يحمل أكثر من معنى منها: التعبير عن المهانة أو للتقليل من شأن أحد ما، الحصول على أمر ما بإصرار وعزيمة أو في بعض الحالات الاعتذار عن الخطأ، وأيا كانت القصدية فكل المعاني المذكورة تنطبق على عرض المهيري، ومن المهم ذكر أن معظم المخرجين الذين قاموا بتقديم هذا العرض لم يبتعدوا كثيرًا عن هذه التسميات كما في النسخة المصرية للمخرج إسلام إمام الذي أطلق عليها «اترك أنفي من فضلك»، بالإضافة إلى هذا اعتبارات مكانة الأنف عند العرب من حيث السمو والدنو باعتباره العلامة الشفهية التي يُستدل بها على مكانة الشخص.

يشير الحدث في المسرحية إلى تفاهة الخلافات، وكما قيل معظم النار من مستصغر الشرر الذي ينطلق من مزحة عابرة بين صديقين مقربين على شكل الأنوف الطويلة والقصيرة، سرعان ما كبرت واشتعلت وتهشمت، وحزبت الجماعة التي انقادت إلى من يشبهها تلقائيًّا دون النظر في تفاصيل قد تساعد في رأب الصدع –ربما– إلى مع أو ضد؛ ليعطي فسحة للمتلقي عن صدق لطف الكلام المسبق بينهما، وفيما إن كان هذا حقيقيًّا وصادقًا أو غير ذلك، خاصة مع رغبة الآباء في انهاء النسب القائم على زواج الأبناء، وجدير بالإشارة هنا الصورة البصرية التي دعت كل طرف إلى التشكل مع جماعته في هارموني مجازي على شكل مايسترو يقود فرقته، لكن الفرق هنا شاسع بين الموسيقى والنشاز. فالنشاز هنا تناحر لفظي عن عقدة استحقاق غير معروف مصدرها، غير الاختلاف الشكلي بين أنف قصير وطويل والتي تفضي إلى تناحر حقيقي حول اللاشئ فعلا.

■ فهم المخرج الدلالة الخاصة بـ «قضية أنوف» ولم ينسق لخط الكوميديا الظاهري في حين أن باطنها النقد والتركيز على الحماقات والتفاهة

وحسنًا فعل المخرج الذي أعاد صياغة فكرة المسرحية الأصلية، في تسمية الشخصيات بما يجنبها الانتماء لمكان بعينه، مثل تسنيم بنت نسيم أو عوف بن جوف، والشخصيات الأخرى التي اكتسبت اسمها من وظيفتها أو صفتها كنوع من التجريد، وهو ينم عن فهم لب وفحوى الفكرة التي أعطاها نفحة محلية عبر أغاني البحر وأغانٍ أخرى رددتها الشخصيات، دون أن تكون إشارة لمكانٍ بعينه، في حين أنه ألغى مؤشر مهم في شخصية الطفلين اللذين يتنابزان بـ»الضفدعة» و «الدودة»، متأسين بالكبار الذين سبقوهم وأيضًا للدلالة على اعتبارهما انعكاس لكل المجتمع وسهولة تشربه للفتن جالبة الكوارث، لكنه استعاض عنها في الأخير بشكل آخر لتجسيد استمرارية الفكرة.

قامت العلاقات الأساسية بين الشخصيات الأربع الرئيسة: الأبوين والزوجين، لكن هذا لا يعني أنهم استفردوا بالحدث الذي كان جماعيًا بامتياز، فكانت معظم المشاهد تضم جميع الممثلين الذين بدوا منسجمين كفريق عمل واحد، رغم أنهم لم يستطيعوا إضحاك المتفرجين في حدث يركن للكوميديا أصلا، وربما هو أمر عائد لطريقة التقطيع في الكلام باللهجة المحلية بحيث يصعب إيصال المعنى والأداء في الإلقاء الذي لا يصاحبه إحساس كلي بمضمون الشخصية، أو كان يتطلب المزيد من التدريبات لإبراز جمل كتبت في نص المهيري بشكل جيد. أيضًا رغم اعتناء النص الأصلي بكل التفاصيل التي تعين المخرج على تنفيذ العناصر المسرحية المرئية، إلا أن الجهد المبذول في الإضاءة في قراءة جيدة لتغيير الحالات كان مشهودًا رغم المبالغة غير الحميدة فيه بعض الأوقات، كذلك ينطبق الأمر على الديكور البسيط ذي الاستخدام العملي والتجسيد والقصد هنا على القطع التي على الخشبة دون تلك المعلقة دون رمزية واضحة، والأزياء التي وفق العرض في تحييدها؛ لذلك دائمًا ما نؤكد على ضرورة حضور الدراماتورج في حال إصرار المخرج على القيام بدوره والتأليف والسينوغرافيا كما في هذا العرض.

ومقاربة للواقع؛ لم يكتف النص بتوضيح كيفية الاشتعال الأول وحسب، بل أظهر المستفيدين من الفتنة وتأجيجها بين الطرفين، الشاعر الذي يعمل حفار قبور في وقت آخر، هو «مهندس» العداوة الذي يهتف بلا مواربة مثل بائع متجول: أبيع أذى/أبيع كراهية/ أبيع حقد/ أبيع فتنة دينية/ أبيع عدم تسامح/ وغيرها من مفردات صريحة ومع ذلك الناس تقبل على بضاعته! هذه النماذج موجودة في مواقع رسمية لها صفتها وسلطتها التي يستجيب لها كثر بحكم التبعية وليس بالضرورة الاقتناع. وكم من «مهندسين» ضيعت شعوبا وأمم.

وإذا كانت ماروشا قد أنهت القضية الأولى بحلول بسيطة جاءت بعد الخلاف الذي أنهك الجميع، لكنه اعتبر جزء من العملية التي يجب أن تأخذ وقتها بالكامل: مشاعر مودة مستقرة/ مزحة تقال فتتحول إلى خلاف هزيل يكبر حتى يتفاقم ويصل أقصاه لينفجر ويعم الهدوء مرة أخرى، دورة كاملة معتمدة على فكرة الاستمرارية، لكن هذا لا يمنع أن يشعل شرر آخر على سبب تافه آخر، وهو الذي أشارت له المؤلفة عبر خلاف قام بين طوال وقصار القامة بنفس سبب الأنوف الذي جر إلى هلاك كبير.

فيما آثر المخرج المهيري ألا ينهي «دق خشوم» بطريقة مأساوية على نهج ماروشا، وأرتأى أن يلعب بالدمى التي تقتل مكان الحبيبين، حتى يشعل الآخرين بالذنب الذي ارتكبوه، ويمكن القول إن المخرج قد فهم الدلالة الخاصة بـ»قضية أنوف» ولم ينسق لخط الكوميديا الظاهري في حين أن باطنها النقد والتركيز على الحماقات والتفاهة والكبر قد يجرف أي عشرة طيبة ومودة، وحتى مع نجاة الحبيبين وهروبهما من هذا المجتمع المبتلى بالحماقات، لم ينج طفلهما الوليد في إشارة إلى استمرارية آفة هذا المجتمع واستمرارية قضية الأنوف.

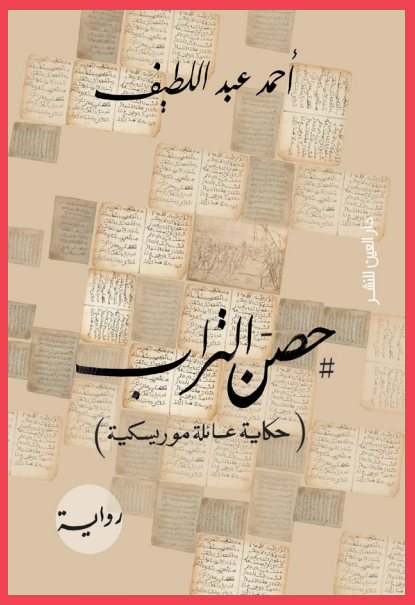

موريسكي.. ولكنّه ليس الأخير!

قبل عام وشهرين حقّقت حلقة بودكاست من قسمين بُثّت على منصة أثير خمسة ملايين ونصف مشاهدة، وفازت بجائزة سيغنال العالمية المخصصة للبودكاست كأفضل حلقة تاريخية عالميا، ولم تكن الحلقة في الحقيقة في برنامج «مغارب» لمحمد الرمّاش مع فنان عالمي أو لاعب كرة مشهور، بل كانت مع باحثة إسبانية متخصصة في تراث أجدادها الموريسكيين عن موضوع «التراث الأندلسي في إسبانيا»، وإذا كانت كلمة الأندلس كثيرة الدوران على ألسنة العرب، فابنتها «الموريسكيون» هي من أثارت فضول الشباب، فشدتهم الباحثة أدبية روميرو سانشيز بشغفها وتمكّنها وإيمانها الحار بقضية أهلها الموريسكيين ومأساتهم.

د.بروين حبيب

ولكن هذا الموضوع كان حاضرا في السردية الروائية العربية على الأقل منذ ثلاثين عاما حين نشرت الروائية رضوى عاشور رحمها الله روايتها «ثلاثية غرناطة»، بعدها كما حدث مع «قواعد العشق الأربعون» وروايات التصوف، تتابعت الروايات التي تناولت هذه الفترة السوداء التي بقية وصمة عار على جبين التاريخ الإسباني بمحاكم تفتيشها وتطهيرها العرقي، ووجد الروائيون في ما جرى بعد سقوط غرناطة منجم ذهب غير مستغل، ففي سنة 2010 صدرت رواية «البيت الأندلسي» للروائي الجزائري وحفيد الموريسكيين أيضا واسيني الأعرج، وقد وصلت إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية، وبعدها بسنة أصدر الروائي المغربي حسن أوريد روايته «الموريسكي» وفيها روى حكاية المترجم والرحالة الموريسكي شهاب الدين أحمد بن قاسم الحَجْرِي المعروف بـآفوقاي، وفي سنة 2015 دخلت رواية «الموريسكي الأخير» للروائي المصري صبحي موسى القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد للكتاب، ثم لحقتها بعد سنتين رواية «حصن التراب حكاية عائلة موريسكية» لمواطنه أحمد عبد اللطيف وبدورها دخلت القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية، وقد التحق بالقافلة الكاتب العماني محمد العجمي بروايته «سر الموريسكي» الصادرة قبل أربع سنوات.

كان لا بد من هذا المدخل الكرونولوجي لنصل إلى رواية صدرت قبل سنة ووصلت بدورها إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية قبل شهر، فما يميز رواية «المسيح الأندلسي» للروائي السوري-الفلسطيني تيسير خلف الصادرة عن منشورات دار «المتوسط» أمور عديدة منها أن الكاتب باحث في التاريخ أصدر أكثر من ثلاثين كتابا،

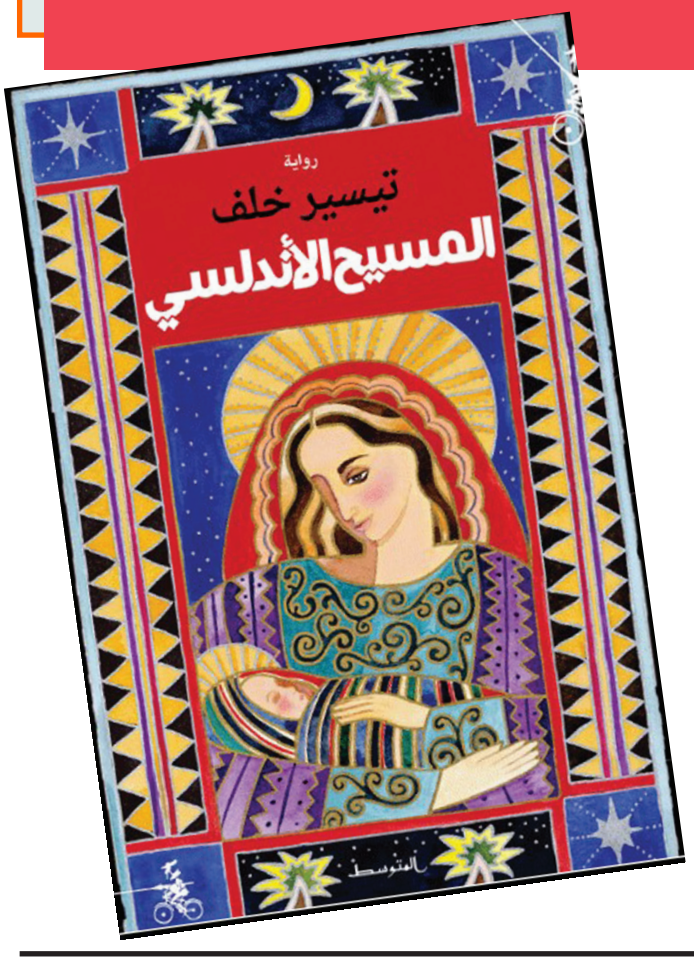

وهو متخصص في أدب الرحلات لهذا أهدى روايته إلى نوري الجراح المولع مثله بهذا النوع من الأدب، ومنها أن تيسير خلف سبق له أن كتب عدة روايات تاريخية ناجحة أشهرها «مذبحة الفلاسفة» عن مدينة تدمر ومحاكمة الملكة زنوبيا، وقد وصلت هذه الرواية بدورها إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية سنة 2016، إضافة إلى أنه فلسطيني وحين يكتب الفلسطيني عن مأساة الموريسكيين فهو يكتب عن نفسه إذ لم تستطع القرون الخمسة التي تفصل بين النكبتين أن تمحو التشابه الذي يصل إلى حدود التطابق.

أول ما يلفت قارئ رواية «المسيح الأندلسي» الجهد البحثي الكبير وراءها وقد ذكره الروائي في مقدمة كتابه قبل الشروع في أحداث الرواية فكتب «كتبتُ هذه الرواية، بالاعتماد على عدد كبير من المخطوطات المنسوخة بخطوط عربية مختلفة: أندلسية، ومغربية، ومشرقية، وأيضًا بأعجمية ما بعد سقوط غَرْنَاطَة التي يسمّونها «الخميادو» ... واستفدتُ أيضًا من رسائل أندلسيّي القرن السابع عشر، المكتوبة بالقَشْتَالِيَّة، ... وألزَمَني ورود أسماء بعض أبطال الرواية الحقيقيّة، بشكل عَرَضيّ، في مصادر مختلفة، بالانهماك في تتبّع مطبوعات القرن السابع عشر»، وهو جهد يظهر حتى في كتابة أسماء المدن والأشخاص فقد اعتمد تيسير خلف»الكثير من المصطلحات العائدة للقرن السابع عشر، وكذلك تهجئة أسماء الأمكنة والأعلام كما وردت في المخطوطات الأصلية»، وحتى يسهّل الأمر على قارئه أثبت في آخر روايته ملحقا بالمصطلحات القديمة ومقابلها الحديث، فأطناش هي أثينا وبرضيوش هي بوردو الفرنسية وبريش ليست سوى باريس ومخيكو هي المكسيك وحتى أسماء الأشخاص مثل قَلْبِن فالمراد به جان كالفن وكذلك لوطري عن مارتن لوثر. يعطينا صاحب «المسيح الأندلسي» مفتاح روايته من صفحتها الأولى بهذه الفقرة الصادمة «كان يمكنني أن أعيش حياتي كلّها كرجل إشباني كاثوليكي صالح، بلسان قشتالي، يُدعى خيسوس غونثالث، لولا بضع كلمات أوصت أمّي، وهي تودِّع الحياة، بأن يخبرني خالي بابلو باييخو بها حين يرى أنني بتُّ أهلًا لذلك. تلك الكلمات هي: أنتَ عربي مسلم، واسمكَ عيسى بن محمّد». ومن هذه الكلمات يتحوّل الشاب الإسباني إلى شخص مسكون بالبحث عن قاتل أمه، فالقاضي في محاكم التفتيش سيئة السمعة دُون خيرونيمو راميريز هو الذي حكم على ماريا والدة خيسوس أو عيسى بالموت تحت التعذيب في مدينة طليطلة في مشهد موجع يرويه بطل الرواية قائلا: «توقّفتُ أمام العجلة الدوّارة مليًّا وأنا أتخيّل جسد أمّي موثقا بها، وظهرها محنيّا كقوس نشّاب، والجلّاد يضغط بقوّة. أستطيع أن أسمع بوضوح صوت تكسّر عظامها، وتمزُّق لحم صدرها، وأنينها الضعيف المكتوم بعد أن خارت قواها...» ولم يقتصر أذى هذا القاضي الجلّاد على هذه الجريمة، بل كان المتسبب في الوشاية بوالد عيسى ومقتل والد حبيبته فيما بعد أيضا.

في هذه الرواية المقسمة إلى أسفار ستّة يقودنا الروائي إلى تتبع الشتات الموريسكي من المدن الأندلسية التي أصبحت فردوسا مفقودا إلى إِسْطَنْبُلْ زمن السلطنة العثمانية مرورا بباريس ووصولا إلى حي الغورية بالقاهرة، على امتداد زمني يبدأ بإعدام أم خيسوس سنة 1592 بعد قرن من سقوط غرناطة بالضبط، وينتهي سنة 1638 مرورا بالسنة المشؤومة 1609 التي صدر فيها المرسوم الشهير بإخراج الموريسكيين من الأندلس، وقد تناول تيسير خلف هذا القرار بحيلة فنية كانت عنصرا أساسيا في الرواية من خلال رأيين انقسم إليهما الموريسكيون: رأي الشيخ الأشقر الذي كان يرى وجوب الهجرة إلى بلاد المسلمين ورأي الشيخ الأكيحل بالتقية والبقاء الذي اختصره الروائي في جملة لها دلالات خطيرة وردت في الرواية تقول «علّمني أبي خيرٌ لنا أن نبقى في أرضنا عرباً نصارى، من أن نتحوّل إلى لاجئين مسلمين في بلدان لم تشفع لنا، ولم تراع عهود الأخوة»، والحقيقة أنه لا يمكن الكتابة عن تاريخ المَوريسكيين دون التعريج على هذا الجدل الفقهي الذي قسم العلماء إلى معسكرين، فارتباط الموريسكيين بالعلماء والمخطوطات ارتباط عضوي يظهر جليا في كل صفحة من الرواية، فقصتهم هي أيضا حكاية المكتبات التي أحرقت والمخطوطات التي نهبت واحتوتها مكتبات الأديرة ومثال مكتبة الأسكوريال لا يزال راهنا. كما هي أيضا حكاية التصوف الذي كان له نصيب في الرواية باستحضار شخصية محيي الدين ابن عربي ونظرته المتسامحة إلى الأديان التي اختصرها في بيته الشهير «أدين بدين الحب أنّى توجّهتْ/ركائبه فالحبّ ديني وإيماني» وتأثر عيسى بآرائه. وهذه الأجواء الموريسكية لا نجدها من خلال الكتب فقط فالأزياء حاضرة بقوة بأنواع الأقمشة واتجاهات الموضة التي وصلت باريس من خلال فيروزة حبيبة البطل، وكذلك المطبخ الموريسكي المتنوع من خلال إيزابيلا خالة عيسى ولا يكتفي تيسير خلف بتعداد أسمائها، بل يقدم بعض وصفاتها ومقادير مكوناتها وكأنها محاولة منه لاعتقال الذاكرة على الورق.

كسر مؤلف الرواية رتابة السرد من خلال تعدد الرواة من ناحية، ومن خلال تعدد تقنية السرد من جهة أخرى، فأغلب أحداث الرواية يحكيها بطلها خيسوس ولكن الروائي يفرد فصلا بعنوان «ملف محاكمة أمي» فيه تقرير من خمس عشرة ورقة يرد على لسان القضاة المحققين، ويستعمل هذه التقنية ثانية حين يورد نصوص الرسائل الأربعة التي كتبها محمد بن أبي العاص والد عيسى إلى أبيه، وبالمناسبة ابن أبي العاص شخصية حقيقية تتبعها تيسير خلف في المصادر العربية والوثائق الهولندية كما ورد في إشارته أول الرواية، كما هو حال شخصية أحمد بن القاسم الحجري الواردة في الرواية والتي وظف تيسير خلف كثيرا مما ورد في كتاب الحجري «ناصر الدين على القوم الكافرين» في بنائه الروائي.

كما استفاد صاحب «المسيح الأندلسي» من قصة الحب بين بطله وفيروزة التركية ليريح البطل قليلا من الحديث فيروي بعض أحداث الرواية بلسان الحبيبة، وقصة الحب هي الوجه المشرق في الرواية مقابل التهجير والتطهير العرقي والدسائس والقراصنة، أليس الحب هو ذلك «الخدر الذي يحلق بك بعيدا فترى كل شيء صغيرا إلا وجه حبيبتك يملأ الكون».

بعد رحلة على مساحة 360 صفحة طوّف بنا فيها تيسير خلف في قارات العالم القديم يعيدنا في آخر جمل روايته إلى نقطة البداية نفسها في الجمل الأولى حين كتب «هي الأقدار تقود خطانا حيث تشاء. نسير حيث تريد لنا أن نسير، ونقف حيث تريد لنا أن نتوقّف. لا فرق إن كنا عميانا أم مبصرين، حمقى أم حصيفين، شجعانا أم مرتعدين، فما سيحدث سوف يحدث...». فالتاريخ يعيد نفسه ونحن الآن شهود عليه!.

وقفة

مجد يعقوب

٤٦٦ يـومـاً

ليست البداية وليست النهاية، إنه تاريخ طويل من الانتهاكات التي يمارسها الاحتلال على الشعب الفلسطيني.

لقد صمدت غزة أمام وحشية لم يسبق لها مثيل في التاريخ المعاصر، كانت أقوى وأصلب من رابع أقوى قوة حديدية في العالم .

لم يكن العدوان على غزة إلا استمراراً لسياسة سلطة الباغي والمستبد ولا حيلة لديه إلا استخدام القوة الغاشمة في محاولات متعددة لاقتلاع هذا الشعب من أرضه ، منذ النكبة الكبرى عام ٤٨ وحتى اللحظة، يثبت العدو أن كل مساعيه وعربدته باءت وتبوء بالفشل .

إن الناظر إلى النهر البشري المتدفق نحو غزة بعد إعلان وقف إطلاق النار ،سيدرك بأن هذا الشعب

شعب الجبارين، شعب لا يهزم، عصي على الانكسار، مقاوم حتى الرمق الأخير، متجذر في أرضه منذ عهد كنعان

وكل ما يتناقل عن السعي الدولي لتهجيره سيبوء بالفشل، لأن فلسطين ثابتة قبل أن يولد كولومبس.

«أبو ليلى» الذي أحبّه السلفادريون

فائزة مصطفى

على مرأى من عدسات الكاميرات الصحفية، إنحنى وزير الخارجية الأمريكي ماركو روبيو في أول زياراته الخارجية للسلفادور أمام طفلة لم تبلغ بعد سن السابعة سائلاً إياها: مرحبا، مع من أتشرف بالكلام

أهلاً، إسمي ليلى

بالغ سروري التعرف عليكِ، معكِ ماركو روبيو

خلف الرجل الأهم في حكومة ترامب كان يتابع المشهد رجل آخر إستطاع أن يغيّر الحياة في السلفادور مرةً وإلى الأبد. إنه الرئيس السلفادوري الشاب، ناييب أرماندو بوكيلي أورتيز، ويمكنني أن أتخلص من عبء كتابة أسمه الطويل وأذكر إسمه العربي «نجيب بوقيلة» مباشرة في بقية مقالي، فالرجل هو فلسطيني الأصل من أب من بيت لحم وأم سيلفادورية، عندما تولى الحكم في السلفادور كان أصغَر رئيس في العالم يتولى الحكم، في عمر السابعة والثلاثين، قبل أن يكسر هذا الرقم رئيس الإكوادور الحالي دانييل نوبوا بعده بثلاث سنوات عندما تمّ إنتخابه رئيسا وهو لم يتجاوز الرابعة والثلاثين من العمر.

أظهرت كاميرات مراسلين الأخبار أيضاً مشهد وزير الخارجية الأمريكي ماركو روبيو و الرئيس نجيب بوقيلة يتبادلان حديثاً هامساً وقوفاً على شرفة تطلّ على بحر رائق على إمتداد المدى الواسع. قيل فيما بعد في نشرات الإخبار أن هذا الحديث الهامس تضمن عرض بالغ الأهمية مقدم من نجيب بوقيلة إلى وزير الخارجية الأمريكي بأن يكون أشهر سجون السلفادور وأكبرها؛ إذا لم يكن أكبر سجون العالم على الإطلاق هو المقر الأبدي الأخير لأخطر سجناء الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكي أتحدث عن تأريخ هذا السجن وعن أنظمة العقوبة التي ابتكرها نجيب بوقيلة فغيرت تأريخ الجريمة في السلفادور، وربما تغيير تأريخ الجريمة في القارة اللاتينية بأكملها سأترك نجيب بوقيلة و ماركو روبيو في شرفتهما قليلاً، وأعود بالزمن إلى الوراء أكثر من خمسين سنة، إلى العام 1972 عندما إشتعلت في السلفادور حرب أهلية دامية أرغمت الآلاف من السلفادوريين إلى الهجرة واللجوء للولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان ينتظرهم الفقر والتشرد في أزقة لوس انجلس وولايات أخرى. العزلة والحاجة والعنصرية جعلتهم يعيشون في مجتمعات مالبثت أن تحوّلت الى بؤر للجريمة من سرقة ومتاجرة بالمخدرات مما دفع السلطات الأمريكية في ثمانينيات القرن الماضي إلى القيام بحملة إعادة إجبارية لهؤلاء المهاجرين إلى بلدهم الأم السلفادور.

المهاجرون المنبوذون الذين عـادوا إلى السلفادور هم أنفسهم المستضعفون الذين غادروها، عادوا وقد تمرسوا على العيش بطريقة السلب والترهيب وحكم القوي، فتشكلت منهم العصابات المنظمة التي تحكمت في مصير السلفادور عقود طويلة من الزمن حتى أصبح البلد الأكثر خطورة في العالم. الإنتماء إلى العصابات أو في أضعف الأيمان التعاون معها، أصبح مفخرة في السلفادور، فكلّ من ليس معنا فهو ضدنا بالضرورة هو القانون السائد هناك. تستقطب العصابات الأطفال من أعمار صغيرة وتخضعهم إلى إختبارات «من يستطيع أن يرتكب أكبر عدد من الجرائم يلتحق بالعصابة أسرع، ويحظى بمكانة مهابة في المجموعة، ويتملك مميزات تجعل كلمته سيفاً على الرقاب. يصل الفرد منهم الى سن العشرين وقد قام بقتل ثلاثين شخص على الأقل، والكثير من الجرائم التي لا تحصى.

أكثر عصابات السلفادور شهرة و خطورة هي عصابة «18 ثوري» و«18 الجنوبي» و«MS13". فرضت قوانينها الخاصة على المجتمع السلفادوري، وأجبرت أصحاب المحلات التجارية ومُلاك العقارات على دفع جزية شهرية مقابل تركهم يعملون ويعيشون في سلام، واستولت على قطاع النقل العام وإستخدمته في نقل ضحاياها ومعدّاتها. لم تفلح إجراءات السلطات الحكومية في الحدّ من تكاثر العصابات وقمع تسلطها، حيث كانت، وتجنباً للصراعات المحتملة تضع السجناء من أفراد كل عصابة في زنازين خاصة بها، لذلك السجون باتت مقراتهم المفضلة التي يديرون من خلالها عملياتهم في الخارج. وبلغوا من السطوة أن الحكومات

التي تعاقبت على السلفادور والبعثات الأجنبية كانت تجري معهم مفاوضات وتعقد معاهدات لا تتلزم بها العصابات أغلب الأحيان.

لم يكن من الغريب في السلفادور أن يقطع التلفزيون بثه ليعلن عن بث مؤتمر صحفي للناطق الرسمي لإحدى العصابات من داخل السجن، يصدر من خلاله القرارات لعامة الشعب وللسلطات الحاكمة. بلغت سلطة هذه العصابات أن باتت تحدد للناس ماذا يرتدون من ملابس و كيف يحلقون شعر رؤوسهم. منعت إرتداء القمصان المكتوب عليها أرقام أو أي صور أو رسومات أو إختصارات أمريكية، وحرمت إرتداء الأحذية الرياضية من ماركة "نايك" فهذه الملابس خاصة فقط بأفرادها ويمنع منعاً باتاً على كل من لا ينتمي إليها أن يرتديها. حرّمت على الرجال حلق الشعر من الجوانب وترك شعر المنتصف فهي قصة الشعر الخاصة بهم، وحرّمت على النساء تمشيط الشعر في جدائل أو تلوينه باللون الأحمر أيضا لأنه خاص بعضواتها من النساء.

كان الوضع في السلفادور جحيما إلى أن جاء الشاب نجيب بوقيلة الى القصر الرئاسي؛ الرئيس السابع والثمانون للبلاد، والذي قال منذ اليوم الأول أن إعادة الأمن الى شوارع السلفادور هو الأولوية، فأعلن في البلاد حالة الطوارئ القصوى، ونشر أقوى وحدات الجيش والعمليات الخاصة من الشرطة على إمتداد السلفادور.

تمّ إعتقال كل من ثبتت عضويته أو حتى إشتبه في عضويته إلى تلك العصابات دون الحاجة إلى مذكرة قضائية. وضع ميزانية فاقت ملايين الدولارات في إعداد أفراد الأمن بأجهزة الطائرات المسيرة الإستخباراتية وتدريب القوات على التعامل مع شراسة تلك العصابات وإعدادهم جسديا للمواجهة. قامت حكومة نجيب بوقيلة ببناء سجن بلغت مساحته سبعة ألف هكتار قادر على إستيعاب أكثر من أربعين ألف سجين وجهزته بأحدث وأقوى نظم الحراسة المشددة وأعتدته، ليكون سجناً أبدياً لكل أفراد العصابات لا يخرجون منه مدى الحياة، وحتى لا تتحول زنازين السجن إلى مقرّات لإدارة العمليات كما كان يحدث في السابق. تمّ مزج أفراد العصابات الثلاث في زنزانة واحدة، ومنع عنهم كل وسائل الإتصال مع الخارج، لا هواتف، ولا زيارات عائلية، ولا وسائط إخبارية.

زنزانة هذا السجن لا تحتوى حوائط تمنع الرؤية بل قطبان تكشف كل ما يدور داخلها وأسرته لا تحتوى لحف ولا وأغطية لكن ألواح من المعدن فوق بعضها البعض. جدارانه خالية من مراوح أو مكيفات هوائية بل أنظمة تهوية طبيعية من فتحات أعلى حيطان الممرات الطويلة، لا تطفأ أنوار السجن أبداً ويقف أمام قطبانه الممتدة المئات من الحرس في مراقبة دائمة على أسطح الزنزانة وضعت شبكة فولاذية تسمح بالرؤية من خلالها لكل ما يدور أسفل في داخلها. لا ملاعق ولا سكاكين ولا أكواب معدنية أو زجاجية تقدم في هذا السجن.. لا يقدّم كل ما يمكن أن يستخدم كسلاح أو أداة لإرتكاب أي عدوان أو جريمة.

في هذا السجن الذي أطلق نجيب بوقيلة عليه إسم "سيكوت"، يمنع منعاً باتاً أن تحتوي وجبات الطعام فيه على أي نوع من أنواع اللحم، وذلك لأن الرئيس نجيب بوقيلة قال

في خطاب جماهيري شهير قمتُ بترجمة هذا المقتطف منه: "لسجون في السلفادور تكلف مبالغ طائلة يدفعها المواطن العادي على هيئة ضرائب، فلا يتمكن من شراء اللحم ويكتفي بتناول الفاصوليا والأرز ليأكل هؤلاء المجرمون اللحم في السجون، بعد أن سلبوا المواطن أمنه وطعامه. لن يأكل افراد العصابات في سجن سيكوت اللحم حتى يتمكن كل فرد من أفراد الشعب تناول اللحم ثلاث وجبات في اليوم"

هذه اليد القوية التي تعاملت بها حكومة نجيب بوقيلة مع العصابات والعقوبة الفولاذية التي يتم تنفيذها في سجن سيكوت أثارت إنتقادات كبيرة من منظمات دولية إتهمت الرئيس الشاب بإنتهاك حقوق الإنسان، فردّ على هذه الإنتقادات في خطاب جماهيري آخر نترجم منه هذا المقتطف: "عندما حوّلت هذه العصابات الحياة في السلفادور إلى جحيم لم تقولوا شيئاً، بل عقدتم معهم المفاوضات، وصفقتم لهم والآن عندما منعنا عنهم لحم الدجاج في السجن خرجت أصواتكم، لن يقدّم اللحم في سيكوت حتى يصبح في مقدور كل مواطن سلفادوري تناول اللحم ثلاث مرات في اليوم".

في غضون سبع سنوات من حكم نجيب بوقيلة السلفادور وسياسته الحديدية في محاربة الجريمة والعصابات المنظمة تحوّلت الدولة من البلد الأكثر خطورة في العالم الى أكثر دول أمريكا اللاتينية أمناً و سلامةً. وإن كان سجن سيكوت الذي قدّم به نجيب بوقيلة عرضه ذاك اليوم على الشرفة لوزير الخارجية الأمريكي في أن يكون هو المقر الأبدي لكل المحكومين بالسجن المؤبد في أمريكا السجون تجربة فريدة في عالم العقوبات، فإن لحكومة نجيب بوقيلة تجربة فريدة أخرى من السجون وهي تجربة السجن الذاتي التكلفة، أطلق عليه إسم "سجن سانتا آنا" وهو نظام عقوبة جديد يقضي فيه المحكوم عليهم سنوات الحبس من غير أفراد العصابات سنوات عقوبتهم، ينتقل إليه السجناء بعد أن يكون قد قضوا فترة من مدة الحبس في السجون العادية وثبت حسن سيرهم وسلوكهم وقابلية إندماجهم في المجتمع مرة أخرى كافراد صالحين بعد أن يتم إخضاعهم لإختبارات نفسية وعقلية.

لا يحتوى سجن سانتا آنا على زنازن بل مساحات واسعة من المزارع والبحيرات و الورش الصناعية، حيث يتعلم فيه السجناء الزراعة والصيد والطهي فتكون الوجبات المقدمة في السجن مائة بالمائة إنتاجاً ذاتياً. وفي الورش الصناعية يتعلم السجناء الخياطة، ويرتدون ملابس من صنعهم ويتدربون على صيانة وإصلاح ماكينات الخياطة فلا يكلفون الحكومة أجرة يد عاملة، وفيها أيضاً يتعلمون صنع الطاولات والمقاعد الدراسية ليتم توزيعها على كل المدارس في السلفادور. يحتوي السجن، أيضاً، على ورش فنية لكل سجين صاحب موهبة في الرسم أو النحت تصقل فيها مواهبهم وتعرض أعمالهم في الأعياد الحكومية والمعارض المفتوحة ويساهمون أيضاً في طلاء وتزيين وترميم المستشفيات والمدارس الحكومية.

علينا تخيّل كم الأموال التي إستطاعت حكومة نجيب بوقيلة توفيرها من ميزانية الدولة في تجربة السجن ذاتي التكلفة ونظام العقوبة في سانتا آنا!. "يتخرج" السجناء من سجن سانتا آنا وقد إكتسبوا حرفة تكسبهم لقمة العيش فينخرطون في المجتمع وقد باتوا أفراداً منتجين.

الشاب "نايب أرماندو بوكيلي أورتيز" بالإسبانية، "نجيب بوقيلة" بالعربية، الرجل الذي صنع المعجزة في السلفادور وحوّلها من أخطر بلاد العالم الى أكثر دول أمريكا اللاتينية أمناً و سلامة في ست سنوات من الحكم، الرجل الذي إختلفت حوله أراء العالم: هل هو دكتاتور أم قائد منقذ، هل سجن سيكوت إستحقاق ام جريمة ضد الإنسانية، الرجل الذي أحبّه الناس في السلفادور ويشكرون فضله بشعبيته المتزايدة بينهم، هو والد الطفلة ليلى التي إنحنى أمامها وزير الخارجية الأمريكي ماركو روبيو، سعيداً بالتعرف عليها ذاك اليوم في القصر الرئاسي أمام عدسات الكاميرات الصحفية.

مـــائـــــدة الأمـــانـــــي

في ظهيرة دافئة، اجتمع الأصدقاء في بيت «ريما»، كما اعتادوا بين الحين والآخر، ليملأوا الطاولة بضحكاتهم وأحاديثهم المتشابكة. بعد الغداء، ومع فناجين القهوة، بدأت النقاشات المختلفة، ثقافية وتربوية وطبية فلقد كان الأصدقاء خليط من التخصصات والجنسيات ثم بعد ذلك اقترح أحدهم أن نرمي بأمنياتنا، كل شخص تحدث عن أمنية تمناها وأخفاها في قلبه. حتى جاء دورها ببراءة شديدة وثقة في أصدقائها تنهدت «ليلى»، وهي تحرك الملعقة في شايها، ثم قالت بصوت هادئ لكنه محمّل بشيء من الشجن:

فاطمة محسن

— «أمنيتي أن أحب وأُحب، بلا قيود... أن أشعر أنني لست وحدي، أن يحيطني الحب، دون أحكام أو قيود أو خوف».

ساد صمت قصير، وكأنها ألقت قنبلة فكل الأماني كانت مادية، فجابر تمنى ترقية، ومحمد تمنى عيادة، وشادي تمنى أن يحصل على جنسية تخلصه من شتاته، نظر الجميع لها في حيرة العاجز عن الرد، هل هي جرأة زائدة منها أم أنها ثقة مفرطة في وعي أصدقاءها، لا أحد يعرف ماالذي جعلها تنطق بهذه الأمنية المجنونة، ودون أن تلحظ نظراتهم المشفقة وغمزاتهم التي تحمل الكثير من السخرية أكملت شايها، ثم انسحبت مسئذنة وهي سعيدة لأنها استطاعت أن تبوح بحاجتها أمام أصدقاء على درجة كبيرة من الوعي والثقة

خرجت وشريط طويل من الفقد والحرمان يحاصرها، عاشت يتيمة الأب لم تعرف معنى ذلك الظل الوارف من الأمان، تعيش في خيالها صورة أب لم تسنح لها الفرصة أن تحيا معه تعانقة تشّم رائحته وتنطوي تحت حنانه.

تزوجت صغيرة وكانت تعتقد أن هذا الزواج سيعوضها حرمان الأب لكنها قضت عمرًا تشعر بأنها مكبلة... كانت زوجة لرجل لم يعرف كيف يعزف على نوتات قلبها، بل لم يعرف سوى السيطرة والعنف. سنوات وهي محاصرة بالخوف، حتى انفصلتُ، وظنت أنها ستكون حرة... لكنها وجدت الوحدة تنتظرها خلف الباب. وشعور الحرمان ينتفخ كبالون قابل للإنفجار في أي وقت، تنهدت بحرقة قائلة:

آه ما أبشع أن تعيشي سنوات دون أن يربت أحد على كتفكِ، دون أن تشعري أنكِ شخص محبوب لذاتكِ، لا لدوركِ في حياة أحد.

أما أصدقاؤها فقد انفجروا ضاحكين من أمنيتها حتى قبل أن تبتعد كثيرا عن منزل ريما وما أن توقفوا حتى أسرعت ريما بالحديث بنبرة ساخرة لم تستطع معها كبح رغبتها في الحديث وتخفي استغرابها نظرت إلى «شادي» الذي يجلس بجانبها ، ثم مالت نحوه قائلة بصوت خافت لكنه محمل بالمعنى:

— أرأيت كيف كانت تتحدث؟ وكأنها تبحث عن الحب في كل مكان! لا عجب، فقد كانت على علاقة بفلان... وأظن حتى فلان الآخر كان قريبًا منها إنها تتأرجح بين هذا وذاك

ضحك شادي وهو يقول هكذا إذن، ثم انساق الجميع مع همسات ريما السامة، غير مدركين أن ليلى كانت تقف عند الباب عادت لأخذ حقيبتها الثانية التي تحوي أوراق امتحانات طالباتها. وقفت ترتجف أمام الباب من هول الصدمة ثم عادت مسرعة لسيارتها وهي تبكي الصدمة تُصمت لكنها تترك صدى يدوم.

أرسلت لها رسالة مقتضبة:

«كنتِ صديقتي، كنتِ أختًا لي... لم أتوقع أن تكونِي أول من يطعنِي عندما فتحتُ قلبي. شكرًا، لقد تعلمتُ درسي جيدًا».

شعرت ريما بانقباض في صدرها، لكنها لم تجد ما تبرر به فعلتها، فالنميمة، مهما كانت ناعمة الصوت، تظل سكينًا قاتلة في ظهر الثقة.

أما ليلى، فقد تعلمت درسًا قاسيًا:

«ليست كل الآذان جديرة بسماع أسرار القلب، وليست كل القلوب تعرف كيف تحتفظ بالثقة».

مهدي عامل يرثي حسين مروة

مهدي عامل (الذي سيصبح شهيداً) يرثي الشهيد حسين مروة، علماً بأن قاتلهما واحد: قوى الظلام وأعداء النور والفكر.

ألهذا قتلوك؟

«ها نحن نودّعك ونشهد بأنك ما استعديْت إلا ظالمًا هو بنظامه قامع مستبد. حاورت الجميع، ناقدًا متسامحًا، مسكشتفًا أفق المعارف، صارمًا في الحق حتى ضد نفسك، صادقًا، والحق عندك في التغيير في خدمة الانسان. حاورت الرفاق والاصدقاء، وحتى خصومًا هم في حوارك اصدقاؤك.

فلماذا قتلوك؟

لأنك الرمز، تنخسف الظلامية كلما خطّت يداك النهج في بحث التراث؛ ترى فيه الصراع المستديم بين قوى القهر وقوى الحرية، بين العقل والجهل.

ألهذا قتلوك؟

لأنك قلت إن الفلسفة العربية الاسلامية ليست واحدة، بل متناقضة، يتجاذبها تياران: تيار النور وتيار الظلمات، تيار الثائرين وتيار المستبدّين حتى بالدين، وطبعًا بالإنسان، لأنك أثبتّ أنهم كذبوا. قتلوك، وأثبتّ ان قاعدة الفكر في وثباته الخلاقة علمية وثورية.

من الجنوب انطلقتَ، فأطلقت الجنوبَ وفكرَ الجنوب، وقلت: يا أيّها المثقفون اتحدوا ضد الطغيان، ولتكن كلماتكم سلاحكم. أنتم اقلام الطبقة العاملة. ألهذا قتلوك؟

المصدر: مجلة «الطريق» – 1987/3/12

إلغـــــاء الأدمغـــــــة منهجيّـــاً

أصرّ كولومبس بعد أن وصل إلى الأراضي الأميركية على أنه بلغ الجزر الهندية الشرقية الرائعة التي وعد ملوك إسبانيا الذين موّلوا رحلته بأنها ستجلب لهم الذهب والعاج والبهارات النادرة. قال كولومبس: «أعطوني سفناً. أعطوني فقط سفينة واحدة وسآتيكم بالذهب من الشرق الخلاب». وبعد مفاوضات صعبة مع ملوك إسبانيا الذين كانوا للتوّ قد أخضعوا غرناطة لحكمهم، مُنهين نحو ثمانية قرون من حكم العرب الأندلس، أعطوه سفينتين شراعيتين لم تكونا في حالة جيّدة، لأنهم لم يكونوا واثقين تماماً من نجاح رحلته، فيما استأجر هو الثالثة. كان اليأس قد دبّ في صفوف بحّارته، وباتوا يصرّون على العودة من حيث أتوا. حين لاحت الأرض الأميركية من بعد، لم تكن تلك الهند التي كان على كولومبس أن يبحر نحو شهرين آخرين كي يبلغها، ولكن قبل ذلك سيكون بحّارته قد هلكوا، وقد تكون سفنه الثلاث قد غرقت. كانت تلك أميركا، التي أرادها المغامر كولومبس هنداً.

من يومها، بدأ عصر جديد في التاريخ البشري، وتبدو مفارقةً أنّ ذلك كله جرى بالمصادفة وحدها. حتى لو كانت آتية لا ريب فيها ولو بعد حين. ثلاث سفن متهالكة تقصد الهند، فتجد أميركا في طريقها. ستجعل هذه المصادفة من كتابة التاريخ صنعة غربيّة، كأنّ التاريخ لم يكن إلا في الغرب وحده: أوروبا، وكأن لا تاريخ سابقاً للبشرية قبل هذا التاريخ في الشرق البعيد، وحتى لدى السكّان الأصليين في الأرض المكتشفة الذين أسماهم كولومبس هنوداً، لمجرّد أن مقصده كان الهند.

في كلّ بلدٍ خضع للاستعمار خلّف المستعمرون وراءهم، حين رحلوا، مستويين من المعيشة: ما يطلق عليها فرانز فانون "المدينة الكولونيالية"، الحديثة، المتطورة، والمدينة الأخرى، غير الكولونيالية، ما قبل الحديثة.

المدينة الأولى جيّدة الإضاءة والتغذية وهادئة ومنظمة، وخالية من العنف، يمشي فيها الناس في شوارع واسعة، وفي هذه المدينة يعيش المستوطنون الأوروبيون الذين جاء بهم الاستعمار ليديروا البلد المستَعمَر، وينظّموا استغلال ثرواته، وربما نال النعيم شريحة محدودة من سكان البلد الذين درّبهم المستعمر وعلّمهم كي يستعين بهم في بعض الوظائف. الحال في المدينة الأخرى، حيث السكّان الأصليّون، تذكِّر المرء بالسطور الأولى من قصيدة سيزار "العودة": إنها "مدينة جائعة، تعاني الحرمان من اللحم، من الأحذية، من الفحم، من الإضاءة، وتتمرغ في الوحل

حين كتب فرانز فانون، مؤلف "معذّبو الأرض" و"بشرة سوداء، أقنعة بيضاء" استقالته من مستشفى بليدة بالجزائر الذي كان يعمل فيه طبيباً نفسياً، فترة الاستعمار الفرنسي، قال فيها: "المشروع الكولونيالي في الجزائر مشروع إلغاء دماغ شعب بصورة منهجية". أيّ مدى من الشجاعة يمتلكه ورثة الإمبراطوريات الاستعمارية اليوم في الإقرار بما اقترفته أيادي أسلافهم من تجهيل وإفقار أمم بكاملها، ما زالت عاجزةً عن كسر دائرة التخلف حتى اللحظة؟

«رجل يُشبهني» .. السرد كوسيلة لمقاومة النسيان

حميد الملا

يزدحم هذا الجزء الأخير من رواية (أولاد الغيتو) وهو الأخير بالأحداث المتلاحقة، حيث ينتقل الراوي من حكاية لأخرى، وتظلّ القضية الفلسطينية هاجسه رغم تلك الحكايات العديدة مما يخلق مستويات متعددة للسرد، فيواصل استكشاف تداعيات النكبة وتأثيرها على الأفراد والمجتمع الفلسطيني من خلال شخصية البطل آدم دنون. «نكبتنا لم تبلغ ذروتها المأساويّة بعد، فهؤلاء الإسرائيليون المصابون بلوثة أرض الميعاد لن يرتووا من دمنا، ولن يتوقّفوا عند أي حدّ «، فكانت مذبحة دير ياسين شاهداً على ذلك عندما شقوا بطون النساء الحوامل وأخرجوا الأجنة.

«في رام الله ألوف مؤلفة، حوالي خمسين ألف رجل وامـرأة وطفل يمشون على ظلالهم، فشمس الغروب رسمت ظلالنا على المدى الترابي المتعرج بالمنحدرات والتلال» تائهين في صحراء الظمأ. وغزّة شاهدة على ذلك، فقبل غزة لم يتوقف الصهاينة عند حدّ، فقوات الهاغاناه قاموا بطرد البدو في منطقة بئر السبع إلى خارج حدود الدولة، في قرية الجاعونة: «جلبوا باصات وطردوا الناس عبر الركل والشتائم والإهانات والوعيد» وسكنوا بيوتهم المغتصبة.

في جنين، المخيم صار قبراً لعشرات الضحايا بعد الاجتياح الإسرائيلي في سنة 2002، وارتكبوا مذبحة في دهمش حيث التصقت أشلاء الضحايا بحيطان جامع دهمش. وهم يقومون بهذه المجازر يشعرون بنشوة الدم "إنّ على اليهودي الجديد أن يتل لا أن يُقتل، وأن يذلّ لا أن يُذل".

طردوا جميع أهل قرية يبنه فرحلوا إلى غزّة وأصبح الجنود يتجوّلون وسط خرائب القرية، "راحت يبنة وراح الزيتون والقلمون والعنب، كل إشي ضاع. اختي فاطمة صارت برام الله، وأخي عبد الكريم صار بحلب، وابني الوحيد استشهد باللدّ".حكاية الإجرام التي قام بها عساكر الهاغاناه واحدة، "صنعوا حبكة واحدة كرروها في جميع القرى التي طردوا سكانها ودمروها".

ولم يسلم الفلاحون الفلسطينون من العسف والحرمان من محصولاتهم الزراعية، "منعتهم من قطف العكّوب والزعتر البرّي"، كما قام الصهاينة أيضاً بالاستيلاء على المؤونة في البيوت: "الطحين والزيت والزيتون، وسرقوا أثاث البيوت، حتى التخوت والفرشات"، "روت لي أنّ أميّ شاهدت جنوداً إسرائيلين يبوّلون في صهاريج الماء".

في دولة الاحتلال الصهيوني عاش كلّ الفلسطينين في غيتوات بعد أن استبدلوا التاريخ بالأسطورة، فحولوا المستحيل إلى ممكن بعد طرد الفلسطينين من أرضهم ووضعوا الباقين في الغيتو. فلسطين بلاد اختفت من الخريطة، شعب فقد أرضه وتحولوا إلى أقليّة مضطهدة في الكيان الإسرائيلي، على تلك الأرض التي صارت وطناً لليهود بعد أن تحوّل "معظم الفلسطينين إلى لاجئين يسكنون الخيام التي كانت ملعباً للريح والمطر".

إلياس خوري في هذه الرواية أخدنا إلى مدن وقرى وطرقات فلسطين، حكايات المخيّمات، شعر وشعراء فلسطين، أدب وأدباء العرب ومفكريهم منذ الجاهلية إلى المُحدثين، امرئ القيس، أبو العلاء المعري، أبو تمام، أبي فراس الحمدانيّ، أبو الطيب المتنبّي، قيس بن الملوح، وضاح اليمن، جميل بن معمّر، عمرو بن كلثوم، الحسين بن منصور الحلاّج، عبد الله بن عمرو العرجي، الأعشى، جرير، الفرزدق، أبو نواس، الأخطل، ديك الجنّ الحمصيّ، حسان بن ثابت الأنصاري، سركون بولس، راشد حسين، محمود درويش، إميل حبيبي، توفيق زياد، إدورد سعيد، غسان كنفاني، سميح القاسم، إميل توما، أمين نخلة، إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، عبد الكريم الكرمي، إيليّا أبو ماضي، بدر شاكر السيّاب، بشارة الخوري.

هؤلاء كلهم كانوا حاضرين حضوراً ضمنياً ومرجعياً في الرواية، يستشهد الكاتب بأشعارهم. يظهر محمود درويش كمرجعية أدبية، فيستشهد بشعره كصوت يعبر عن المأساة الفلسطينية، وكذا توفيق زياد وأميل حبيبي وغيرهما، فاستخدم الشعر لربط الحاضر بالماضي وأظهر أنه بالإمكان أستخدام الأدب في فضح الممارسات البشعة للكيان الإسرائيلي. كما استخدم الكاتب الشعر كوسيلة لمقاومة النسيان، حيث كانت الحكايات جزءاً من إعادة بناء الذاكرة الجمعية، وبأن الشعر أداة للمقاومة أيضاً وبأن الأدب قادر على مقاومة النسيان واستعادة الهوية.

"شعب يُهزم لكنّه لا يموت، موته انتصار بالموت، وقدرته على البقاء انتصار بالحياة"، شعب مناضل عصيّ على الاقتلاع، ثابت في أرضه رغم الدمار والتدمير، وهذا مصداق لقول محمود درويش الوارد في كتابه في حضرة الغياب عن إميل حبيبي: "لقد أوصى بأن يُكتب على شاهدة قبره "باقٍ في حيفا".

نجح إلياس خوري في ثلاثيته "أولاد الغيتو" في نقل صورة واضحة عما يعانيه من تبقى في الداخل الفلسطيني وفي الشتات ومآسي اللجوء والغربة والهوية الممزقة في المنفى، فنقل إلينا معاناتهم مع الاحتلال الإسرائيلي، وفتح أبوابًا واسعة لفهم أعمق للتجربة الفلسطينية عندما سلط الضوء على الهوية والانتماء والتحديات التي واجهها الفلسطينيون من خلال استخدام السرد بوصفه وسيلة لفهم التاريخ ومقاومة النسيان، "فحكاية الطفل الذي كُنته يا ابني تُلخص مسيرة الموت التي خاضها سكّان اللدّ بعد طردهم من مدينتهم، تحت شمس رصاصية لا ترحم، بل هي تلخّص الحكاية الفلسطينية كلّها، إنها رمز إنسانّي شامل".

حتى الأطفال أصبح في وعيهم الجمعي الموت جزءاً من حياتهم "اللعبة الوحيدة التي تبقّت لنا هي لعبة الموت المفضّلة لأطفال المخيّم هي لعبة الشهيد؟، مجموعة من الأطفال يحملون نعشاً يتمدّد عليه أحدهم، يحملونه ويمشون ويهتفون. يصعد الأطفال إلى النعش بالدور، الكلّ شهيد والكلّ يهتف للشهيد".

يمكننا القول بأن رواية "أولاد الغيتُو" هي ملحمة إنسانية أعادت لمن يقرأ أجزائها الثلاثة صورة الوضع الفلسطيني في الداخل وفي الشتات وفي المنفى، ذكّرنا الكاتب بالقمع والإرهاب والتنكيل الذي مورس ويمارس على الفلسطينين من قبل الاحتلال الصهيوني من خلال توثيق هذه الجرائم منذ النكبة في العام 1948 حيث ولد بطل الرواية آدم دنون، "أما فلسطين فحكايتها قديمة ولها أسماء لا تُحصى، وتلك الأسماء كلّها تُختصر في صفة واحدة اسمها القداسة أو الوعد الإلهيّ". ولتحقيق هذا الوعد كان عليهم أن يسفكوا الكثير من الدماء والدمار وطرد السكان والتنكيل بهم.

أطلق إلياس خوري في روايته هذه صرخة ضد نسيان ما جرى للفلسطينيين من مآسي وألآم، مقدّما رسالة إنسانية عميقة تتجاوز حدود الزمان والمكان بأسلوب فني راقي، راوياً حكاية مسيرة الموت والقهر والتعذيب والبطولات الفلسطينية أيضاً.

الفلسفة في مناهجنا الدراسية

ناقشت الدورة الثانية والأربعون لمنتدى التنمية الخليجي التي انعقدت في العام الماضي بالعاصمة السعودية، الرياض، موضوع «دور المعرفة والثقافة في تعزيز التنمية في دول الخليج العربي»، بمشاركة واسعة من شخصيات أكاديمية وسياسية من مختلف بلدان المنطقة، وقدّمت فيها ست أوراق بحثية، كان لي شرف أن أقدّم احداها، التي سعيت فيها لمقاربة «إصلاح منظومة التعليم كشرطٍ للتنمية»، واخترت الوقوف أمام تدريس مادة الفلسفة في المدارس الثانوية في بلدان المنطقة كمثال.

د. حسن مدن

مع الإقرار بما حققته بلدان مجلس التعاون الخليجي من نجاحات في مجال التعليم، حتى أن تصنيف مؤسسة "كيو. إس" للعام 2024 وضع ثمان جامعات خليجية في قائمة أفضل عشر جامعات عربية، وفي مجال محو الأمية يمكن القول إن بلدان المنطقة حققت نجاحات لم تبلغها دول عربية كثيرة، لكن هذا لا يعني أن حال التعليم في بلداننا مثالية، فما زالت تعاني من أوجه خلل كثيرة، وما زال الضعف يعتري المناهج الدراسية التي تدرس في المدارس أولًا، وفي الجامعات تاليًا، ومن ذلك غياب أو تهميش مادة بأهمية مادة الفلسفة.

إذا بقيت المناهج الدراسية المعتمدة هي ذاتها، والرؤية أو الفلسفة التعليمية هي نفسها المتبعة الآن في الكثير من بلداننا، فإن مخرجات التعليم، من حيث الجوهر، ستبقى كما هي، ولن نشهد النهضة التعليمية المنشودة التي ما انفكّ المفكرون العرب ذوو البصيرة السليمة يطالبون بها، منذ أن كتب طه حسين كتابه: «مستقبل الثقافة في مصر»، أو فلنقل منذ تلك الحقبة التي عاشها الرجل، وشهدت السجال بين القديم والجديد، يوم كان الجديد يتقدم، والقديم يتصدع، حتى لو لم يَنهر.

ثمّة وهم مستحوذ على بعض الأذهان من أن التعليم لكي يكون حديثًا وعصريًا، عليه التخلي عن الكثير من مكوّنات منظومته، وأن يتوجه لتلبية ما يعرف بـ»احتياجات» السوق، التي تتطلب إعداد الشباب للمهن المتاحة في هذه السوق اليوم، وهي مهن تتجه نحو الخدماتيّة، والوظائف الماليّة والمصرفيّة، التي تتطلب مهارات معينة من نوع معرفة معقولة باللغة الإنجليزيّة، وبخاصة في المجالات التي يتطلبها هذا النوع من المهن، فضلًا عن كفاءة التعامل مع البرامج الإلكترونيّة، فيما يفترض في التعليم أن يكون منظومة متكاملة من المعارف والقيم المنفتحة على أفق إنسانيّ واسع، ولا تنحصر وظيفته في إعداد من يلبون متطلبات السوق فحسب، على أهميّة ذلك، وإنما أيضًا وأساسًا، إعداد كوادر بتكوين ثقافيّ إنساني منفتح، مع ما يتطلبه ذلك من تدريس للفلسفة والفكر التنويريّ، وقراءة الأدب والاستمتاع بالموسيقا والفنون عامة.

تعدّ إعادة الاعتبار لمادة الفلسفة، من حيث كونها موقفًا ورؤية للحياة، وإعلاءًا من شأن العقل والتنوير ضرورة، خاصة بالنظر لما تعرضت له من إقصاء، بل وازدراء، وتشويه لمحتواها وجوهرها، فضلًا عن سوء تدريسها، حين تيّسر هذا التدريس في بعض بلدان المنطقة، إذ خضعت الجهات التربوية وسواها، لضغوط وإملاءات الجماعات المتزمتة، التي اعتبرت الفلسفة من المحرمات.

لن يكون كافيًا إدخال مادة مثل الفلسفة في المناهج الدراسية، فالأهم هو طبيعة المادة المنتقاة من تاريخ الفلسفة الحافل والزاخر بالمتناقضات والرؤى المتعددة، والأهم من هذا منهج التدريس الذي تقدّم به هذه المادة، وكفاءة التربويين الذين يقدّمونها وطبيعة رؤاهم. وأمر طيب عودة التوجه إلى تدريس الفلسفة في البلدان التي غابت عن مقرراتها، لكن حتى اللحظة من الصعب الجزم بما إذا كان هذا التوجه وجد أو سيجد طريقه للتنفيذ، وما إذا كانت المهمة أوليت أو ستولى إلى كفاءات، ممن يدركون أهمية هذه المادة، ويحسنون تقديمها إلى الطلبة، بطريقة تجعل منها مادة محببة، لا منفرة.

وحتى في البلدان التي استمرّ فيها تدريس مادة الفلسفة ولم يتوقف، فإن شهادات مختصين تشير إلى أن هذا التدريس، بالصورة التي يتمّ بها، ومن خلال طبيعة البرامج التي تدّرس، ما زال بعيداً عن بلوغ المنشود من الأهداف.

ثمّة دلائل ومؤشرات على أن مكانة الشأن الفلسفي في مجتمعات الخليج آخذة في النمو، رغم كل المُعوّقات والكوابح، من علامات ذلك ظهور وجوه مهتمة بالفلسفة ودارسة لها، ومقدّمة لرؤى جديدة، لفهم التحولات الدائرة من حولنا، سواء في مجتمعاتنا أو في العالم، وفي ذلك تعبير عن جاهزية مجتمعاتنا للمزيد من التحديث الفكري والمجتمعي إن توفرت له شروطه.

لن يكون كافيًا إدخال الفلسفة في المناهج الدراسية، فالأهم طبيعة المادة المنتقاة ومنهج التدريس الذي تقدّم به المادة، وكفاءة التربويين الذين يقدّمونها

التقدمي

التقدمي العدد 208 ـ مارس 2025 السنة 23 SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

تبقى هكذا في اللا حدود

كولالة نوري

«بقيتُ متفائلا كما في السابق غير أن تفاؤلي الذي كان ورديًا أمسى الآن يشمل كل ألوان الطيف بما فيها الأسود، وهذا ما يجعله أصيلًا وفعالًا، لكن يجدر بنا أن نكافح من أجل هذا التفسير للتفاؤل».

يفغيني يفتوشنكو
أديب وفنان روسي

كما المعلومات في رسوم اشتراكٍ روتينيّ،
الرأس: على حافة الفرص الكاملة
المسروقةِ من حياة.
القبيلة: قوافل تائهة.
لون العينين: ثلاثة عقود عراقية.
لون الشعر: خربشات أطفال
وخطوط حرية سوداء.
القامة: تسلّل لبهجاتٍ على غفلة من دجلة والفرات.
وكما في رسوم الاشتراك القسريّ
أجلي حواسي عن المكان
أدقّ مسمارين مكان بصمتي
أهرب من نهيقهم.. وأطير بلا علامة؛
غير قُبلة زرعتَها يوما على عجل
أمام باب دارٍ فُتح على يتيمين.

***

كما رسوم الاشتراك في عَدَم.
هادئة في حديقة عامة
أمامي شاشة واسعة لا تسرّ الناظرين
منزوعة من السلاح.
لا أخيب ظن مُنحة وجدتُها بين أصابعك.
وأقول:
يااااه من الجيد أنهم مجرد فلم سيكون له نهاية.

***

كما الاشتراك في سفرةٍ طويـــــلة
مثل مسافة بين عتبة بيتك إلى مدخله
حين تُخرج روحك
كي تتحمّل الدخول.
كما الحضور في مباراة رياضية
تصادف نظرة ضغينة من جمهور الآخر
ولا تبتسم أيضا.
تركل برأسك رؤوسا أينعت
لأنها لم تبقك على كتفيك،
ثم تصرخون من البهجة
لأنكم تحررتم أخيرا من عفن أجسادكم.

***

كما العيش في وطنٍ عاقٍ
تظلّ تقنع نفسك بأنك أشبه بوالدين حنونين
حتى حين يغادرهما الابن بلا وداع.. يبتسمان.
وتبقى هكذا في اللاحدود
ترى البلد عاريا
حتى آنذاك تقول:
يا له من طفل عاق
لنُسمِّه وطنا.